

النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"...خاصة بالاعضاء

العدد السابع السنة الثامنة والعشرون افريل (النصف الاول) ١٩٩٢

رأينا

بسم الله الرحمن الرحيم

القدس... والعهد هو العهد

■ كانت كلمات الاخ ابو عمار لحظة وصوله الى مطار تونس بعد أن كتب الله له عمرا جديدا، وحباه برحمته ورعايته الربانية، تعبيرا دقيقا عن الهدف المركزي الذي نذر حياته من اجله.. القدس الشريف، عاصمة الدولة الفلسطينية. قال الاخ ابو عمار لحظة وصوله مطار تونس والتقائه بأخيه الرئيس زين العابدين بن علي (ان الله أنقذني لكي أفي بالوعد وبالعهد الذي تعاهدته مع أخي الرئيس زين العابدين بأن نصلي في القدس سويا..) إن شعور القائد بأن رسالته النضالية لم تستكمل تعطيه في مسيرته النضالية مدا وعزما جديدين خاصة، بعد ان تكللت الارادة الذاتية للأخ أبو عمار من أجل تصعيد الثورة وتصليب بنيان فتح، بهالة من إرادة الله الذي حماه ورعاه وكرس مكانته التاريخية النضالية في قلب شعبه وضمير أمته ومشاعر الملايين من المناضلين في العالم من اجل الحرية والاستقلال الوطني.

الحمد لله الذي حفظ قائد فتح ، قائد الثورة، قائد المسيرة النضالية لشعبنا العظيم. فالقدس التي يتطلع الأخ ابو عمار الى تحريرها والصلاة فيها تجسيدا لحتمية النصر الفلسطيني، تحيط بها أشواك وأسوار من المؤامرات. وهي بحاجة الى المزيد من رعاية الله وهدايته لكي تجعل الدرب اليها والى الحفاظ على مقدساتها سالكا رغم ما يتطلبه من تضحيات جسام. فالشهداء الابرار الذين غيبهم شهر نيسان القاسي في القسطل والفردان وآخرهم امير الشهداء.. ابو جهاد، كانوا على تماس الأريج بالزهرة وأبو عمار ينادي أبا جهاد ولكن الله سلم.. ورعى.. وحمى. وظل العهد هو العهد.. والقسم هو القسم.. والقدس، والمسجد الاقصى الذي بارك الله حوله تنادي ابا عمار .. وتذكر بالمجد العربي الأسلامي.. وبالعهدة العمرية في مرحلة كان العرب المسلمون فيها يصوغون نظاما دوليا جديدا يقوم على أساس العدل والمساواة والدين الاسلامي الحنيف.

وفي عصرنا هذا الذي تحاول امريكا فيه ان ترسم خطوط عالمها الجديد ونظامها الذي يقوم على أساس الأفتراء وازدواجية المكاييل تواجه القدس مؤامرة شرسة. لقد فرضت الشروط الامريكية الصهيونية استبعاد موضوعها من جدول أعمال ما يسمى مؤتمر السلام، وكانه يمكن أن يكون هنالك سلام بدون القدس.. كما حرموا ابناء فلسطين من أهل القدس من المشاركة في دورهم في اطار الوفد المفاوض امعانا في تكريس مخطط سلخها عن العروبة والاسلام وتمهيدا لتهويدها.

البقية ص 22

ضد ظاهرة الدكاكين والمحورية والشللية

■ كثيرا ما يصاب العمل التنظيمي ببعض النزعات او الظواهر الخاطئة، والتي تتسلل الى الحياة التنظيمية نتيجة لاساليب العمل الخاطئة، او لبعض النواقض في مناهج التربية التنظيمية او المحاسبة او بروز عوامل الفساد.

وقد تعرضت مسيرة حركتنا الطويلة لمثل هذه النزعات او الظواهر، التي تمكنت الحركة من مكافحة الكثير منها في حينه، وقد ساعدها ان الظروف المحيطة والجسم الحركي الفتي، كانا عاملين من عوامل مكافحة تلك النزاعات.

وقد كان طبيعيا ان تظهر مثل تلك النزعات لانها تعبير عن انعدام الكمال الانساني، او عن تدخلات الظروف المحيطة، او عن بعض جوانب القصور الذاتي. وكان طبيعيا ايضا ان تقوم الحركة بمكافحتها ومحاصرتها ومنع استفحالها، الى درجة ان ذلك اصبح قانونا دائما عبر مسيرة طويلة.

وليس معيبا لنا ان نقف في كل مرحلة لنحدد ونواجه السلبيات، وخاصة تلك السلبياب الخطرة. وليس عيبا ان نقول في تشخيص حالتنا اننا اصبحنا نلاحظ بشكل بارز استفحال بعض النزعات الخاطئة ومنها نزعة المحورية والشللية وظاهرة الدكاكين. وهي الحالة التي ادت في بعض المواقع الى تضارب المجهودات التنظيمية وانعدام التنسيق، بينها وتغليب مظاهر التنافس الذاتي على وحدة الحركة. وهو الامر الذي يفسر لنا خسران بعض المواقع الجماهيرية وتضارب القوائم للانتخابات لتلك المواقع.

ان من شأن هذه الظاهرة او الحالة ان تضعف فعالية الحركة وان تؤثر على جماهيريتها ووحدتها مع الشعب، فتلك الحالة او النزعات هي الاساس في تراكم الكثير من الاخطاء او الظواهر السلبية الاخرى. حيث انها تجعل معايير الاختيار او العمل هي معايير الشللية وظاهرة الدكاكين، وتؤدي الى اختيار الاعضاء الذين ينتمون الى تلك الظواهر وتقدميهم كوجوه للحركة بدلا من الوجوه التي حافظت على النهج التنظيمي، وهو الامر الذي يجعل معيار الكفاءة والاخلاص يتوارى لمصلحة معايير الشللية ودوائر مراكز القوى او العلاقات، وبالتالي يؤدي الى ما يشبه قانون غريشام حيث "العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول"، فتحل العناصر الاقل كفاءة او تربية تنظيمية محل العناصر الاكثر كفاءة واعداد تنظيمي. وهذا الامر يؤدي بدوره الى تدني مستوى الاداء، والى تدني القدرة على اقتناع الجماهير، وبالتالي الى تدني المردود، وليس خافيا ان هذه النتيجة تحمل قدرا مطردا من الخطورة يتضاعف بتضاعف الحالة ويؤدي بالحركة ان تجد نفسها وقد خسرت مواقعها او ضعف تاثيرها.

ويصبح الامر اكثر خطورة اذا برزت مثل هذه الظاهرة في ساحة الوطن المحتل، حيث ينبغي ان تكون مواجهة الاحتلال اداة فرز انتقائي تؤدي الى اختيار الافضل والاصلب والاكثر جدارة.

اما عندما يصبح الامر غير ذلك فان النتيجة تكون مضاعفة الخطورة.

والاساس في بروز مثل هذه الحالة او النزعة الخاطئة، يكمن في عاملين، الاول منهج التعامل الخاطىء وغير التنظيمي الذي ينزع للنتائج السريعة اكثر مما ينزع للبناء او الزرع الطويل الامد. والثاني وهو تغلب النوازع والدوافع الذاتية بكل اشكالها والوانها على الحوافز العامة او الحوافز النضالية. وهو الامر الذي يعني وجود العيب في الاتجاهين الاعلى والادنى. وبغض النظر عن المسؤوليات فان مثل هذه الحالة لا يمكن السكوت عليها، ويمكن ان تتم مكافحتها، اولا بالتثقيف وابراز جوانب الخطورة والنتائج الضارة لها وباتخاذ الاجراءات الفورية والناجعة.

ان المحاسبة وتوقيع العقوبات وممارسة النقد والنقد الذاتي بشكل صحيح وايجابي وبناء هي العامل الاخر والاساسي في مكافحة هذه الحالة.

اذن لابد من التثقيف واتخاذ الاجراءات في آن واحد. وهذا الامر مسؤولية تقع على عاتق كافة الاطر المعنية سواء كانت من الاطر المركزية او من المنظمات القاعدة، فلكل دوره سواءا في تحمل مسؤولية المعالجة او في تحمل المسؤولية التقصيرية عن وجود الظاهرة.

مما لاشك فيه ان البعد الجغرافي ووجود بعض العوائق في وجه المتابعة او المراقبة، هي امور تلقي درجة زائدة من المسؤولية على الاطر المعنية لكي تجد من الحصانة الذاتي والوعي الذاتي ما يعوض هذا الجانب من انعدام القدرة موضوعيا او حتى ذاتيا على التوجيه والمتابعة الصحيحين.

ففي مثل هذه الحالة من وجود العوائق الموضوعية امام المتابعة الدائمة، يصبح من الضروري توفر الحصانة الكافية والقدرة على المعالجة الصحيحية بالاعتماد على الذات او القدرة المستقلة على المعالجة لدى الاطر الادنى.

كذلك يصبح من الضروري والاساسي الاعتماد على عامل الثقة والبناء الصحيح. وهذه الامور تكون دائما العامل الحاسم في ارسائها هو بناء الانسان او الكادر الذي يتولى المسؤولية المباشرة في المكان المحدد.

وفي الاتجاه المركزي فان العناية وبذل الجهودات الاضافية والتقليص من تعدد القنوات وتضاربها هي امور في غاية الاهمية.

يجب ان يكون مبدأ العمل الدائم هو العطاء، لان العطاء ينمي الجوانب الايجابية للعملية التنظيمية ويبين الحوافز لاتباع المناهج السليمة في العمل، وذلك على عكس الاخذ او العمل بالامكانيات وخاصة في ظروف انعدام المراقبة على التصرف بتلك الامكانيات. وهو المبدأ الذي يؤدي الى بروز المصلحة في ايجاد الوسائل والسبل والاساليب في العمل التي من شانها المحافظة على المصالح الذاتية وحمايتها.

وهذه المسؤولية هي مسؤولية الاطر الاعلى، وكلما ارتفعت درجة الاطر اصبح المطلوب منها اكثر من غيرها من الاطر الاخرى.

ان النهوض الذاتي الحركي يعتمد في احد ابعاده على مكافحة النزعات الخاطئة، لذلك ينبغي ان نعالج تلك النزاعات وان نعزلها ونحاصرها ونشحذ الحوافز التربوية التنظيمية والحوافز النضالية في الاطر والاعضاء لتتم المكافحة الناجعة على اساس النضال وفي اطار وحدة الحركة ووحدة تنظيمها ووحدة ادائها.

ومما لاشك فيه ان مهمة النهوض الذاتي اصبحت من المهام الاساسية على طريق المواجهة واسترداد اوراق القوة.

لنرفع جميعنا الشعار ضد ظاهرة الدكاكين والمحورية والشللية في العمل التنظيمي، حيث تتوفر هذه الظاهرة وفي كل اقليم تتسرب اليه، ولنرفعها بشكل خاص للعمل في الوطن المحتل بكل اشكاله وفي اية منطقة او اطار تتسرب اليه، ولنمتن الاطر الحصينة في مواجهتها.

لان من شان ذلك قوة وتقدم وتصاعد تاثير الحركة ودورها بين الجماهير■

في الذكرى الرابعة لاستشهاد القائد الرمز ابو جهاد

الطريق الى الانتفاضة الشاملة

■ أربعة أعوام مرت منذ رحل، توزع فيها اسمه على قرى ومدن ومخيمات فلسطين وعلى المعسكرات والقواعد والدروات التدريبية والمؤتمرات والندوات والاجتماعات، هوية والتزاما وعهدا على مواصلة الطريق.

ومن التكرار القول ان الكتابة عنه ليست سهلة، فهو قد اختار في حياته ان يسمع كثيرا ويتكلم قليلا ولا يبين من نفسه الا بقدر ما يحتاج النشاط ولا يبين ما في نفسه الا في لحظات الفرح بهذا الفعل الفلسطيني او ذاك وبهذا الشبل الفلسطيني او ذاك وبهذه البداية الفلسطينية او تلك.

عندما نقلت وكالات الانباء النبأ الحزين باغتيال القائد الرمز الشهيد ابو جهاد تتبع العالم ما سوف تعلنه صحافة العدو الاسرائيلي وما اذا كانت ستعترف بهذه الجريمة ام ستنكر القيام بها. وفي صباح اليوم التالي في ١٧ أبريل/ نيسان عام ١٩٨٨ كانت افتتاحيات جميع الصحف الاسرائيلية تتحدث عن "أبو جهاد"، ولم يخف كتابها جميعا فرحتهم بما فعلوا وذكر بعضهم ان هذه العملية تأتي في ذكرى عملية "ربيع الشباب" التي تمت ضد القيادات الفلسطينية في بيروت منذ خمسة عشر سنة بالضبط. واقترحت افتتاحية جريدة دافار ان يطلق على عملية اغتيال ابو جهاد اسم "ربيع التجدد" ربما لتوهم القتلة ان هذه الجريمة ستقلب صفحة مقلقة للصهاينة هي صفحة الانتفاضة التي توقعوا ان يؤدي اغتيال الشهد الكبير الى توقفها.

ولكن الذي حدث أكد من جديد ان هذا العدو الصهيوني العنصري المغرور لا يفهم ولا يمكن ان يفهم قوة فلسطين وشعبها وثورتها، وكيف ان القوانين التي يطبقونها لدراسة هذه الظاهرة الفردية، لاتؤدي بهم الى توقعات صحيحة. كما كشفت ان هذا العدو الصهيوني المتغطرس، لم يتعلم من وقائع العشرين عاما الماضية، اي منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، ان كل شيء مردود الى صدره، وان ما يتصوره كسبا ينقلب الى خسارة وان ما يتوهمه نهاية تخرج منه بدايات جديدة بموجات جديدة للثورة الفلسطينية الظافرة.

يعفينا ابو جهاد كعادته من البحث عن الاجابة على سؤال ردده الكثيرون حول علاقة الانتفاضة بمنظمة التحرير الفلسطينية ودور الاخيرة في الاعداد لها. ويكفي ان يقول ابو جهاد ان هذه الانتفاضة هي ابنة منظمة التحرير الفلسطينية لكي لا يجد المشككون بعد قوله حجة ولا كلام.

ولقد كان من حسن الصدف، ان يلتقى ابو جهاد بعدد من القادة العرب ضمتهم ندوة اتحاد المحامين العرب في مدينة تونس ايام ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ مارس عام ١٩٨٨ ، اي قبل استشهاده باسبوعين فقط، وكانت الانتفاضة تدخل شهرها الخامس بعنفوان وقوة وتحرك ضمير العالم وتخطف ابصار المراقبين حتى اختلط المشككين عن قصد بالمتشككين عن عدم معرفة بشأن علاقة هذه الانتفاضة الباسلة بالنضال الفلسطيني المعاصر وبمنظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها.

وجاء ابو جهاد ليحضر الجلسة المخصصة للانتفاضة ودعاه الحاضرون على الفور الى الحديث، فكان الشاهد الحق وهو الذي يعرف ما قام به هو واخوانه وما تحمل مسؤوليته في السنوات السابقة.

وكالعادة لم يبدأ ابو جهاد بالاجابة المباشرة على هذا التساؤل والسؤال، بل عرض على الحاضرين صورة استمرار النضال الفلسطيني في السنوات السابقة على الانتفاضة وأوضح لهم كيف أدى هذا النضال الى الانتفاضة الشاملة الكبرى وكيف انها حلقة من الحلقات التي يعرفها جيدا تاريخ الشعب الفلسطيني وان تكن هي الاشمل والاقوى، او على حد تعبيره هي "انتقالة استراتيجية".

أوضح ابو جهاد للحاضرين في بداية كلامه ان الامر، اي الثورة الفلسطينية وانتفاضتها، ليس نضالا قطريا بل " اننا نقول دائما في نضالنا اننا رأس الحربة من أمتنا نستمد العزم و منها نستمد الروح، ومنها تزداد قدرتنا على العطاء بصورة متواصلة واذا لبسنا يوما ثياب فلسطين كقطر فهي ليست الا لأنها الضحية التي تعرضت لهذا العدوان ومن واجب امتنا.. اذا تعرضت بعض اقطارنا للخطر ان تقف كلها خلف هذه الضحية حتى

يكون لنضالها معنى ويكون له تأثير".

وأوضح ابو جهاد للحاضرين ان هذه الانتفاضة ليست مقطوعة عن مجريات النضال اليومي للشعب الفلسطيني، وانها جزء منه وقد تواصل دون توقف وكانت قرارا يوميا ونضالا متواصلا عبر كل السنوات الماضية. وحدد موعد بدايتها فقال "هي التي بدأت مع بدء الاحتلال الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ ، فبعد أيام من الاحتلال كانت مظاهرات الشعب في شوارع القدس وفي كل مكان تعبر عن رفضها للاحتلال.." وانها ".. كانت تنتهز كل فرصة لتنفجر من جديد وتنطلق مرة اخرى تعبر عن ذاتها ووجودها" وأن " الثورة الفلسطينية أعطت مزيدا من العزم لأهلنا في داخل الوطن المحتل وعبرت عن صورة من صور الرفض والمواجهة لهذا العدو ورفض الاحتلال ومواجهته بوسائل النضال العسكري اضافة الى تلك الحركة السياسية التي كان لها دورها في الساحة العربية والعالمية " وكان العدو الاسرائيلي" يدرك ماذا يعني نضال الثورة الفلسطينية في الخارج ونضال الشعب في الداخل وكان دائما يوجه ضرباته الى قواعد الثورة في الخارج لكي يؤثر على ارادة الجماهير في الوطن المحتل.. كما كان لاستفراده او محاولة استفراده بأبناء شعبنا في داخل الوطن المحتل تأثيره على من في الخارج". وذلك جزء من استراتيجية العدو الاسرائيلي.

وانطلق ابو جهاد من عدوان عام ١٩٨٢ على لبنان وحصار بيروت واقتبس من وثائق العدو الصهيوني ما يبين ان اهداف ذلك الغزو كانت تدمير البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتدمير قدراتها العسكرية ومؤسساتها السياسية، وكذلك "دفع قوات الثورة الفلسطينية الى التشتت في مناطق عربية حيث تفقد استقلاليتها مما يضعف سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية على المناطق المحتلة ويهيىء الفرصة لاسرائيل في المناطق المدارة لاقامة حكم ذاتي حسب الشروط والمبادىء الاسرائيلية. أي ان ضرب الخارج كان يهدف الى ضرب الداخل ويفرض امرا واقعا امتد ثلاثين عاما".

هكذا اوضح ابو جهاد كيف يرى وكيف ترى القيادة الفلسطينية كلها العلاقة بين الخارج والداخل وهي نظرة لم يكن من السهل على الكثيرين ان يدركوها، ولكن كان من الطبيعي على ابناء هذا الشعب وهذه الثورة ان يعوها وان يعيشوا بها كما اوضح ابو جهاد بعد ذلك عندما سرد على الحاضرين بشكل موجز خارطة تطور النضال داخل وخارج فلسطين المحتلة وترابطه واستجابته لبعضه البعض.

وهكذا فعندما تتعرض قوى الثورة الفلسطينية المنظمة وجماهيرها خارج فلسطين المحتلة لعدوان او مذبحة تتحرك جماهير المخيمات والمدن والقرى داخل فلسطين المحتلة في مظاهرات تعلن صوت فلسطين وتجمع المواد العينية والدماء لارسالها الى الاهل في الخارج، تماما كما حدث مرات عديدة اثناء حرب لبنان، وكما حدث بعد مجزرة شارون في صبرا وشاتيلا وكما حدث عند حصار المخيمات في بيروت وغيرها من حصارات دموية أريد بها تصفية النضال الفلسطيني.

وذكر ابو جهاد في كلمته تلك الحاضرين بأن السنوات السابقة على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية المباركة مباشرة شهدت على سبيل المثال ٥٤٣ حركة احتجاج واضراب ومظاهرات واعتصام في الوطن المحتل في عام ١٩٨٥ ، كما شهدت ٢٤٨ احتجاجا عام ١٩٨٦ بالاضافة الى ٥٧٢ ما بين اضراب ومظاهرات واعتصام، اما في عام ١٩٨٧ وحتى ما قبل الانتفاضة التي اندلعت في أول الشهر الاخير فقد كانت هناك ٣١٧ حركة احتجاج جماهيري واسعة بالاضافة الى ١٢٦٥ تحرك بين اضراب واعتصام ومظاهرة.

كان ميرون بنفنستي، مدير بنك معلومات الضفة الغربية وغزة والنائب السابق لرئيس بلدية القدس الاسرائيلي، قد جمع من ناحيته احصائيات حول ما أسماه بعمليات الاخلال بالنظام منذ أبريل/نيسان عام ١٩٨٦ الى ابريل /نيسان عام ١٩٨٧ بلغت ٣٣٦٥ عملية اخلال بالنظام منها عمليات اقامة حواجز ورشق بالحجارة واشعال اطارات السيارات ولصق المنشورات والتلويح باعلام فلسطين والاضراب والمظاهرات، الى جانب عدد من العمليات العسكرية وشبه العسكرية، وان السلطات الاسرائيلية احاطت المخيمات الفلسطينية بأسوار من الاسلاك الشائكة وجدران من البراميل المليئة بالأسمنت وعطلت المعاهد والجامعات عدة مرات حتى بلغ عدد أيام التعطيل ١٨٠ يوما في العام الدراسي ١٩٨٧/٨٦ . ولابد من الاقرار بأن هذا الرجل قد ادرك دلالة هذا التصعيد الكبير عندما رأى ان هذه الاعمال تنطوي على عنصر الحرب الأهلية (يقصد بين اليهود والفلسطينيين) وان الطلبة الأن على استعداد أكبر للمخاطرة بحياتهم والنزاع بات أكثر عنفا، على حد تعبيره.

أبو جهاد على الجانب الآخر من المتراس رأى ما رآه بنفنستي وجماعته ولكنه رأى فيها بشائر النصر والدليل على صحة الخطة السياسية التي اقرتها قيادة الثورة الفلسطينية بعد عام ١٩٨٢ عندما قررت في اجتماعاتها ان "الساحة الاكثر سخونة والتي يجب ان يتجه اليها الجهد الاساسي هي ساحة الوطن المحتل وأن اي ساحة أخرى هي ساحة مساندة وأن ساحة الجهد الرئيسي هي ساحة الوطن المحتل ولذلك كل الجهود يجب ان تتوالى في داخل الوطن المحتل لدعم صمود جماهيرنا حتى تستطيع ان تعبىء كل الجهود الى ان

ثورة حتى النصر
ثورة حتى النصر

تتصاعد وتتفجر لتصبح الثورة الدائمة حتى تحقيق أهداف شعبنا.. ومنها الجهود التي قدمتها اللجنة المشتركة (الفلسطيتية - الاردنية) التي ساعدت في بناء العشرات من المدارس بالاضافة الى جهود بعض الجهات او الافراد الذين قدموا.. لبناء مدارس. "(محاضرة ندوة اتحاد المحامين العرب).

ويشعر المرء باعتزاز أبو جهاد، وهو يتحدث عن التعليم في الوطن المحتل، ويذكر انه "في عام ١٩٦٧ كان عدد الطلبة الذي أنهوا المرحلة الثانوية حوالي ٣٥٠٠ طالب، اما في عام ١٩٨٧ فقد زادوا على ١٨ ألف طالب". رغم ان العدو الاسرائيلي لم يبنى مدرسة واحدة وما لم يذكره ابو جهاد، لضيق الوقت او لانه لايحب الحديث عما يفعل وفعل، ان القيادة الفلسطينية ومؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية قد استطاعت خلال عشرين عاما في ظل الاحتلال ان توسع شبكة التعليم أفقيا ورأسيا وان تقيم في الوطن المحتل ست جامعات كبرى وعشرات من المعاهد العليا، وكلها قامت على رؤية واعية واضحة هي تعويض الشعب الفلسطيني مما حرم منه في الماضي وبناء مؤسسات تجمع بين جدرانها الاجيال الشابة الصاعدة وتنتقل في ساحاتها الخبرات والتاريخ وتتبلور سمات الهوية الوطنية ويتعلم فيها الشباب الى جانب العلم المجرد أسلوب الحوار والتنظيم والانتخاب وافراز القيادات وخدمة البيئة والمجتمع على النحو الذي جعل هذه الهيئات فيما بعد تبدع ظاهرة التعليم الشعبي في ظل الانتفاضة وهو ما لم يسبق في تاريخ الثورات، في ظل مثل هذه الظروف. التزمت بها منذ انطلاقتها، ومنها ان تكون البنادق، كل البنادق، نحو العدو الصهيوني. ومعنى ذلك بالنسبة لأبو جهاد تحاشى الاختلاف والاقتتال وتوحيد الجهود العسكرية وغير العسكرية من أجل تسليح الشعب في مواجهة العدو الصهيوني، كذلك كان ابو جهاد يؤمن دائما ويردد بأن " كل بندقية تضاف الى الالف بندقية هي قوة لنا" وكان يرى ان كل تنظيم جديد ينشأ بين صفوف الشعب الفلسطيني نقابيا كان او سياسيا، صغيرا كان او كبيرا، هو اضافة للقوة التنظيمية للشعب الفلسطيني.

وستظل وثائق التاريخ تحتفظ لأبو جهاد بدوره الوحدوي الكبير في جمع صفوف المنظمات الفلسطينية داخل اطار منظمة التحرير الفلسطينية خاصة بعد محنة الانشقاق وشبه الانشقاق التي أعقبت أعوام ١٩٨٣ و ١٩٨٤. ولم يتوقف أبدا عن السعي من أجل تقريب وجهات النظر وجذب المخالفين اليه حتى تصور بعض اخوانه من الشباب المتحمس بوجه خاص انه في بعض الاحيان قدم تنازلات للمخالفين له لم يكن لها ما يبررها في نظرهم. ولكن ابو جهاد كان يرى ان الأولوية هي للوحدة الوطنية وان هذا الشعب الفلسطيني الذي عانى منذ مطلع القرن من تأثير الانعكاسات الدولية والاقليمية عليه يحتاج اول ما يحتاج الى استعادة وحدته الوطنية تماما.ولعل الجميع يذكر الساعات الاخيرة من المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة عشر، دورة صمود المخيمات التي عرفت بدورة الوحدة الوطنية، وكيف كان لأبو جهاد فيها دور كبير، خاصة عندما توصل باسم فتح الى صياغة لقرارات سياسية متعلقة بالعلاقة مع بعض الدول العربية لم تكن تتفق في ذلك الوقت مع ما هو قائم، وانه على الرغم من الضغوط الشديدة التي تعرضت لها القيادة الفلسطينية آنذاك فان تقديم أولوية الوحدة الوطنية على ماعداها كفل التوصل الى الاتفاق الجماعي دون ان يغلق باب تحسين العلاقات مع الدول العربية المعنية.

والى جانب دور ابو جهاد، الذي ستذكر الوثائق وسيدرسه المؤرخون فيما يتعلق بحماية الوحدة الوطنية الفلسطينية ووحدة مؤسساتها، فقد كانت له، وهو المسؤول عن العمل في الارض المحتلة منذ الانطلاقة، رؤية دفعته الى تقدير دور المخيمات الفلسطينية وجماهيرها والعمل على تمويلها باستمرار الى قواعد للثورة ومصانع للقادة.

ولأن ابو جهاد لم يكن ملتزما الا بفلسطين وبتحرير فلسطين وشعب فلسطين، ولانه كان يحب هذا الشعب ويشعر بما يعانيه، فقد كان يكره رمز الخيمة ويكره كلمة اللجوء، لذا فقد عمل دون حدود على تغيير واقع المخيمات وعلى تسليح جماهيرها، ان لم يكن بالسلاح فبالقادة الشباب الذين يوفر لهم فرص التعليم ويشجعهم على العودة الى حيث يقيمون وأسرهم، وهو يقدر ان هذا الابن سيبر بأهله وان هؤلاء الابناء سيقودون مخيمهم، وان وجودهم في ذاته هو سلاح في يد الشعب.

وقد لا يكون الوقت ملائما للكشف عن بدايات تنويع اشكال التنظيم داخل الوطن المحتل، وربما كان من الافضل في هذا المجال الاستناد الى شهادات العدو الصهيوني دون تأكيدها حماية للمناضلين الابطال.

نقتبس من أحداث كتاب اسرائيلي عن الانتفاضة لمؤلفيه زئيف شيف وايهود يعارى دون التسليم لا بالاطار الذي ذكر ولا التفسير المراد لمحاولتهما الايقاع بين فتح والمنظمات الاخرى. يقول الكتاب في جلقته الرابعة المنشورة في جريدة الرأي الاردنية ١٩٩٠/٣/٨ "وبصفة عامة كانت طريقة عمل فتح مختلفة عن سائر طرق عمل المنظمات الاخرى، اذ بدلا من نسج حركة سرية سعت منظمة فتح منذ العام ١٩٧٩ الى بسط جهاز متفرع لتنظيمات شعبية وفي صدارتها "الشبيبة"، فعلى نقيض منظمات اخرى سعت الى العمل من داخل مخابيء سرية ارادت منظمة فتح الحصول على هدفها بواسطة مكاتب

ثورة حتى النصر
ثورة حتى النصر

علنية تعد بالعشرات او بالمئات تحت أسماء مختلفة".

" وكان هذا اكبر انجاز لحركة (فتح)، فقد حولت باستمرار الاموال لتمويل نشاطات جميعات خيرية ومشاريع البر والاحسان ومختلف المكاتب الصحفية والنقابات المهنية المحلية والاقليمية والكليات والمؤسسات الثقافية، ومنح مخصصات ومدفوعات لالآف العائلات.

"وفي تصريح نادر تكلم عرفات عن هذا الموضوع بقوله ان منظمة التحرير الفلسطينية تحتمل فعلا عبئا لم تتحمله اي منظمة مشابهة لها في التاريخ، فقد قال في صيف عام ١٩٨٥، اني بحاجة الى ميزانية دولة بحجم متوسط ويزداد العبء سنة بعد اخرى. اذ اننا مسؤولون عن التعليم العالي برمته في المناطق المحتلة ونقوم بتمويل ميزانيات البلديات وبمسؤولية تسويق برتقال غزة كما نمارس تصدير زيت الزيتون والعنب".

وبالاضافة الى هذا الاقتباس الواضح فالكتاب مليء بمثلها وأيضا بمغالطات تحاول الدس والوقيعة ونشر الفرقة ولكنه على أي حال يكشف عن اصرار القيادة الاسرائيلية على معرفة آليات حركة الانتفاضة الفلسطينية لاعداد خططها القمعية.

وبطبعة الواثق المتفائل كان ابو جهاد يستطيع ان يحول كل الظروف السيئة الى ظرف يفيد الشعب. كان يهتم كثيرا بمصير اخوانه وابنائه من المعتقلين والاسرى، ولم يكن اهتمامه قاصرا على تحريرهم من الاسر، فتلك مهمة حملتها القيادة الفلسطينية كلها وشهدت على الدوام وحدة وتنسيقا حتى في أحلك ظروف الاختلاف وانما كان مهتما برعايتهم ورعاية اسرهم وبهم هم، يراسلهم ويراسلوه، يحدثهم ويحدثوه، ويكتب لهم الرسائل في خط منمنم ودقيق لكي يتم تهريبها عبر الاسلاك والثغرات في الجدران والقضبان ليتداولها المعتقلون فيما بينهم، ولتكون سلاحا تثقيفيا في نشاطهم اليومي وتخفف عنهم وطأة المنفى وقمع السجان.

الآن يعترف الصهاينة ان السجون والمعتقلات الاسرائيلية كانت قد تحولت طوال العشرين عاما الماضية الى مدارس للقادة او على حد تعبيرهم الى معسكرات تدريب، ليس فقط على التكتيكات العسكرية وانما ايضا في التوعية السياسية. ويعترف الاسرائيليون الآن ان سياستهم في الاعتقال العشوائي والجماعي قد انقلبت عليهم، اذ ان المئات من الشباب الذين يمضون في الاعتقال ستة اشهر او تزيد يخرجون منه وقد تغير وعيهم السياسي واصبحوا يعرفون ما لم يكونوا يعرفونه. ولعل المؤرخون الذين سيعملون، او يعملون الآن على تاريخ هذه الفترة من النضال الفلسطيني يجمعون شهادات المناضلين المحررين والمبعدين عن رسائل ابو جهاد لهم وعن محتواها وأثرها، ولقد كان يطلب على الدوام من كل من يتصل به ان يسهم في هذا الجهد، ولو برسالة أدبية فضلا عن التنمية الفكرية والسياسية.

ولقد لخص أبناء الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في الداخل بكلمات موجزة مجهودات الشهيد البطل أبو جهاد في التحضير لهذه الانتفاضة الشاملة في رسالتهم التي بعثوا بها الى الاخوة الذين شاركوا في ندوة تونس أحياء للذكرى الاولى للشهيد القائد فقالوا:

لقد تمتع شهيدنا الراحل بقدرة خارقة على أستطلاع آفاق المستقبل واعداد العدة لمواجهة تطوراته المتوقعة دون ان يقصر همومه على المرحلة التي يمر بها. ولقد كان يدرك ان المواجهة الحقيقية مع الاحتلال البغيض واقعة لا محالة على أرض فلسطين المحتلة بعد ان فشل الغزو النازي في عام ١٩٨٢ في تدمير الارادة الفلسطينية المقاتلة.

فبادر الشهيد البطل "ابو جهاد" واخوانه الى تكثيف الجهود لتأطير وتعبئة كافة القوى الشعبية لتكون أداة الصدام والمواجهة حين ساعة الصفر..

فكان تأطير الحركة النسائية والعمالية والشبيبة وبناء المؤسسات الوطنية وارساء أسس البنية التحتية للدولة الفلسطينية القادمة على الطريق.. كان كل هذا من الهموم الأساسية للقيادة لايمانها بانها هي وحدها التي ستحمل لواء القتال وتقف في خندق الداخل تصارع الاحتلال لتجتثه من جذوره وترده على أعقابه مقهقرا.. ملوما محسورا. وأدرك العدو بعد فوات الاوان ما شرع فقيدنا الراحل ورفاقه الذين التفوا حوله ينفذون أفكاره وتوجيهاته، فحاول العدو وبحملة محمومة مهووسة وقف هذه العملية، عملية بناء المؤسسات الوطنية الفلسطينية وتأطير الشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن المسيرة كانت قد قطعت شوطا طويلا. والبذرة قد بدأت تؤتي أكلها.

فرغم اعلان رابين عام ١٩٨٥ عن تطبيق سياسته النازية المسماة بسياسة "القبضة الحديدية" وبدء قواته بحملة واسعة من الاعتقالات الادارية والاقامات الجبرية وهدم المنازلة وابعاد المواطنين، الا ان تلك السياسة لم تمنع تزايد عمليات المقاومة بكافة اشكالها ضد الاحتلال وارتفاع حدتها بفضل الدور الفعال الذي كانت تلعبه الأطر الشعبية والمؤسسات الوطنية التي أرسى أسسها شهيدنا البطل الرمز "ابو جهاد".

وجاءت الانتفاضة الوطنية المباركة تتويجا لجهوده الجبارة وثمرة يانعة لنضالات شعبنا بقيادته الحكيمة وعلى رأسها الاخ القائد "ابو عمار".

وأطلق شهيدنا الرمز صرخته التاريخية الخالدة:

لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة.
لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة.
لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة.

(١٥)

موضوعات من الانتفاضة

العمل المسلح والحفاظ على الحركة الجماهيرية

■ شكل تصاعد العمل المسلح في الاشهر الثلاث الاخيرة سمة اساسية للعمل في الاراضي المحتلة، وما يمكن ان يقال عن هذا العمل انه جاء تتويجا رائعا يدلل على دقة الفهم الدقيق للعقلية الصهيونية، تلك العقلية التي حاولت ان تمارس عنفا شديدا ضد الانتفاضة خلال سير عملية التفاوض السياسي، لتجريد الفلسطينيين من ورقة نضال اساسية لهم في مجرى العملية التفاوضية، وهذا الى جانب الالتزام الصهيوني الدائم بالعنف كعقيدة لهذا الكيان. ففي قراءة رقمية لنشاط الانتفاضة لشهر آذار الماضي فقط سجلت العمليات التالية: قتل جندي واحد وجرح ٥٨ جنديا، وجرح ١١ مستوطنا، وحرق ٢٢ سيارة عسكرية، وحرق ٢٤ سيارة للمستوطنين، ومهاجمة ٢١٦ سيارة عسكرية، ومهاجمة ١٩٦ سيارة للمستوطنين، وتدمير ٢٠ سيارة دون تحديد الصفة، ومهاجمة ٥ مستوطنات، ومهاجمة ٦٦ موقعا عسكريا. وقد ترافق هذا النشاط العسكري المكثف، مع ازدياد وتيرة العمل الجماهيري في الشهر الماضي ايضا حيث ارتفعت معدلات الحالات الجماهيرية السلمية بمعدل ثلاثة حالات في اليوم الواحد، اضافة لارتفاع معدل الحالات الجماهيرية العنيفة بشكل كبير. وكل هذا شكل كما قلنا اندفاعا فلسطينيا صحيحا في الاتجاه الصحيح الذي يخدم اهداف المسيرة الفلسطينية في هذا الظرف السياسي بالذات. كما لوحظ ان العمل المسلح لم يقتصر على منطقة واحدة، على الرغم من ان الاتجاه الرئيسي للعمل تركز في منطقة قطاع غزة حيث بلغت الحالات الجماهيرية السلمية على الشكل الآتي: ٥ القدس، ٩ نابلس، ٥ رام الله، ٧ طولكرم، ١ قلقيلية، ٦ الخليل، ٧ جنين، ٥ بيت لحم، ١٥ غزة، ٢٠ خان يونس، ١٣ رفح.

وبلغت الحالات الجماهيرية العنيفة على الشكل التالي: ١٧ القدس، ٦٤ نابلس، ٤٠ رام الله، ٢٧ طولكرم، ١٩ قلقيلية، ١٠٧ الخليل، ٥١ جنين، ٩٣ بيت لحم، ٨١ غزة، ٤١ خان يونس، ٤٣ رفح.

فالتنوع، واختلاف المناطق، شكل طوال المراحل السابقة، نقطة القوة في العمل الفلسطيني في الاراضي المحتلة، التي يجب ان يحافظ عليها، وان تتطور بعمق يعيد تجربة المرحلة الهامة لما قبل الانتفاضة، حيث تميز تكتيك العمل الجماهيري بالانطلاق بالمظاهرات في مدينة محددة ثم تنتقل في الايام الاخرى الى مدن وقرى اخرى في نفس المنطقة، وما ان تهدأ في هذه المنطقة (لنسميها منطقة- أ - مثلا) حتى تبدأ نفس الحركة وبنفس المسار في منطقة ب، من المدينة الى القرية الى كل المنطقة، وتنتقل من بعد الى منطقة ج، وبنفس المسار السابقة، وفي حالة أشتداد العنف أكثر في منطقة من المناطق، فقد تقوم منطقة من المنطقتين أ، أو ب، بالحركة المساندة لفعل المنطقة ج التي تتعرض لقمع العدو الشديد. وفي لحظة معينة تنطلق الحركة في المناطق الثلاث مرة واحدة وهو ما يمكن ان نطلق عليه تسمية التتويج، ولتعود الحدة لتخف رويدا رويدا متبعة في هذا المسار ايضا التكتيك الاساسي الذي كان عند البداية، اي تهدأ منطقة أ، مدينة مدينة وقرية قرية، ثم المنطقة الاخرى وهكذا دواليك.

ان قيمة مثل هذا التكتيك البارع لا تخفى على اي عين بصيرة، فهو من جهة يحافظ على وتيرة مستمرة للعمل الانتفاضي والجماهيري الواسع، ومن جهة اخرى يهيء مجالا لكل قرية او مدينة او منطقة، ان تأخذ دورا ثم ترتاح بحثا عن شؤونها وحياتها اليومية (ان هذه المسألة ذات حيوية كبرى في عمل الانتفاضة والعمل الفلسطيني عموما في الاراضي المحتلة). ولكن النقطة الاساسية التي يطرحها مثل هذا المسار انها تحتاج الى قدرة تنظيمية كبيرة، والى حيوية كل الاطر سواء كانت على مستوى المدارس، أو على مستوى القرى والمدن،

أو على مستوى النقابات، والاتحادات المختلفة، فهي تتطلب التنظيم المفعم بالحيوية والنشاط، والحركة المستمرة والدؤبة ليس على مستوى قمة الهرم التنظيمي والسياسي فقط، بل تتخلل حياة كل مناضلة ومناضل في كل اطار.

كما أن هذا التكتيك يبين نقاط القوة ونقاط الضعف، كما يتطلب اسئلة دائمة ومستمرة، لماذا كان الاداء هنا جيدا، ولم يكن في تلك النقطة على نفس القوة والاندفاع، ما هي عوامل القوة هنا، وما هي عوامل الضعف هناك، بهدف الوصول الى الاستنتاجات الصحيحة والقادرة على ان تتعامل مع عوامل الضعف والتخلص منها على طريق وضع هذه المنطقة على نفس القوة والقدرة التي كانت للمناطق الاخرى. ولكن وبعد سنوات من الانتفاضة المستمرة، يبرز سؤال هام، كيف تستمر الانتفاضة بحركتها الجماهيرية الواسعة، وفي نفس الوقت كيف تراعي مصالح الجماهير في بحثها عن رزقها..؟ وحيث يراعي الاتجاه الدفين في النفس البشرية لخدمة مصالحها وقضاياها؟ انه سؤال هام يجعل من ايجاد حلول صحيحة له بمثابة الابداع الفلسطيني النضالي في ظروف الاحتلال.

ونورد بعضا من التساؤلات الهامة في هذا المجال، متى نريد العمل الجماهيري الواسع، ولماذا ولأي غرض محدد في المستوى السياسي؟ متى نريد حركة في منطقة بعينها، وما هو الهدف التكتيكي من وراء ذلك؟ ما هو وضع العدو في تلك اللحظة، وما هي الرسالة التي نريد ان نوصلها له؟ او لغيره من القوى الاقليمية او الدولية. وايضا ما هي اللحظة التي يصبح فيها الاستمرار غير مؤثر في قيمة ما نريد ايصاله للاطراف المعنية؟

ثم هل اصبح حجم التضحية اكبر من المنجز، من وراء الحركة التي نقوم بها؟ وهل يؤثر ذلك على نفس الوتيرة من قوة الحركة اذا دعينا الناس مرة اخرى؟

ونفس المسألة والاسئلة تطرح ايضا في مجال العمل المسلح، لماذا هذا المكان تحديدا لابد ان يضرب، ولماذا العمل لفترة بالحرائق، ومرة اخرى بالبنادق، ومرة ثالثة بالمولوتوف، واخرى بالسكين..؟ بالطبع ان الاسئلة في هذا المجال تتعلق بوضعنا وظروفنا، ووضع وظروف العدو، واهدافنا مرات، ولاحباط اهداف العدو في مرات اخرى.

ولكن العمل العسكري باستمرار يرتبط في اذهاننا بالحركة الجماهيرية، وارتقائها الى مستويات مطلوبة، تماما مثل الهدف الثابت بانزال أعلى الخسائر في صفوف العدو.

ان كل ذلك يعيدنا للقضية الهامة، كيف نحافظ على الحركة الجماهيرية متهيأة وقادرة على الحركة في الوقت الملائم، دون ان نقع بمحظور الضغط المستمر على الحياة اليومية للناس، ان القضية التي طرحت في الايام الماضية حول مواقيت فتح الحوانيت والمتاجر، وهو ما أثير في بيان القيادة الوطنية الموحدة في الفترة الاخيرة، مهم، وضروري ان نقرأه ونطبقه جميعا بعيون وقلوب مفتوحة، طالما انه يؤدي لكي تهتم الناس بشؤونها الخاصة من خلال فتح متاجرها لوقت اطول.. فهذه المسألة يجب ان تعالج بروية، وبما يحافظ على حيوية الانتفاضة من جهة، ومن جهة أخرى يحافظ الناس على مصالحهم. فنحن لا نريد الاغلاق لأجل الاغلاق، انما للاغلاق اهدافه، وطالما أدى هدفه، فيمكن ان نرى الاشكال الاخرى التي تتيح للناس ان تمارس اعمالها، وبذلك تظل اكثر اندفاعا في تلبية ما نريد في الاوقات الاخرى.

كما أنه يمكن ان نعود الى مواقيت محددة للعمل الجماهيري الواسع، في لحظة محددة، وبعد ان نقوم بها يعود الامر الى ما كان عليه من قبل. وهو تكتيك التداخل بين السياسي والعسكري من جهة، ومن جهة اخرى التكتيك الذي يتيح لان يكون لكل تحرك هدف واضح يراد الوصول اليه، وبهذا نضمن دائما لاي تحرك نريده ان يكون واسعا وشعبيا وهو المطلوب في مثل هذه الظروف، على قاعدة ان نضالنا طويل ومستمر.

رماة جبل أحد واستعجال الغنائم

في معركة احد قام الرسول صلى الله عليه وسلم، بدراسة مكتملة لارض المعركة، ولقواه وقوى قريش، ورسم تكتيكه القتالي بناء على ذلك، معطيا الرماة الذين وضعهم فوق الجبل، دورا هاما في حماية المقاتلين وكسب المعركة، ولذلك كرر عليهم وصيته بعدم مغادرة الجبل مهما كان حال المسلمين في ارض القتال. "وما ان انتهت الجولة الاولى من المعركة وبدأت قوات المشركين تنسحب الى مواقع ابعد، وما ان قام بعض المسلمين بجمع غنائم المعركة، حتى أدرك الرماة ان كل شيء قد انتهى، وخوفا من ان تفوتهم الغنائم وقسمتها كما توهموا حتى تركوا الجبل مسرعين الى ارض القتال، وفي تلك اللحظة كانت عين خالد بن الوليد قائد الرماة في جيش المشركين في ذلك الوقت ترصد الجبل ورماة المسلمين، فما ان رآهم ينسحبون، وببصيرته القتالية، تقدم الى تلك الثغرة، وليتحول نصر المسلمين الى هزيمة".

ان هذه الحادثة التاريخية الهامة، ذات المعاني والدلالات الواضحة، تجيء الى الذهن المراقب، والذي يرى البعض في صفوفنا قد بدأو يتصرفون وكأن موعد

الانتفاضة

غنائم النصر قد أزفت، وصاروا يضربون بعرض الحائط بالقواعد العملية للعمل في ظروف الاحتلال، وينحون في كل سلوكياتهم ناحية العلنية المطلقة. وبامكان الكثيرين منا ان يعددوا المجالات التي يقع فيها مثل هؤلاء.. والسؤال هل نحن على ابواب النصر حقا؟ وهل انتهت كل دواعي وضرورات العمل السري، وهل ازفت ساعة العمل العلني؟ وقبل ان نجيب على هذه الاسئلة، نقول ان هؤلاء نكاد نراهم في مجالات العمل الجماهيري والسياسي والتنظيمي وحتى العسكري. ومن هنا الاحساس بخطورة هذه الظاهرة، والتي ترى انها لن تجني سوى نتيجة ما عمله الرماة عندما تركوا مواقعهم فوق جبل أحد.

ان المتابع لمعطيات وقائع الصراع بيننا وبين الاحتلال الصهيوني، سيكتشف القانون الذي يقول بان طبيعة هذا الصراع ومدته ستكون طويلة، لارتباط الطرف الصهيوني في كل فترة مع القوى الاستعمارية القائدة، وللظروف المحيطة بواقع التجزئة العربية القائمة. هذا من حيث الاساسيات، او من حيث اتجاه العدو نحو التسوية، فاننا نراه لا يريد التسوية كيفما كانت، طالما انها اقل من حلمه التوراتي الذي يقول من النيل الى الفرات. وهو ما يفسر بانه لم يلتزم للآن بتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والذي صدر عقب حرب حزيران سنة ١٩٦٧، رغم مرور ربع قرن على صدوره، ثم، اننا نرى الان كيف يراوغ العدو تماما، في الالتزام بعملية السلام القائمة الان، على الرغم من انها تجيء في مرحلة تميل فيها موازين القوى لصالحه. فهو يرواغ ويماطل، وما يطرحه من حلول لا يتجاوز في احسن الحالات حكما ذاتيا ينطبق على الاشخاص ولا ينطبق على الارض. وسياسته العملية تقوم على المراوغات الطويلة الهادفة الى كسب الوقت لاطول فترة ممكنة، عله لا يتخلى عن اي جزء مما لديه. وللآن فان كل جلسات المفاوضات الدائرة، والتي دارت في مدريد وواشنطن وموسكو لم تؤد عمليا الى قراءة لجوهر الموضوع متوقفة حتى الآن عند القضايا الاجرائية والشكلية.

ثم ان قيادة العدو ستبذل كل الجهود العنيفة وغير العنيفة، وبتصميم كبير على انهاء الانتفاضة، لان استمرارها في وقت استمرار المحادثات سيكون لصالح المفاوض الفلسطيني والعربي، وهو يدرك تماما ابعاد مثل هذا الوجود واثره على نتائج المفاوضات. والنتيجة العملية لمثل هكذا هدف، هو ان العدو سيلجأ بالضرورة الى زيادة وتائر عنفه وقمعه ضد قوى الانتفاضة للوصول الى اخماد صوتها كما يتمنى ويريد.

اذن المعطيات جميعا، سواء ما يتعلق بنا او بالعدو، او حتى بنقاط القوة خلال سير عملية التفاوض، تحتم ان ننحاز وبقوة اكثر من اي وقت مضى الى تعزيز وجودنا الانتفاضي، وتعميق مسار عملنا المسلح، وكافة النضالات الاخرى التي تؤكد ثباتنا على اهدافنا، وتمسكنا باشكال نضالنا لتكون جميعها نقاط قوة موقفنا السياسي. وهو ما يتطلب ان نحافظ على العملية التنظيمية كاملة كما كانت، لا بل ان نطورها اداءا وحيوية اكثر من الاوقات السابقة. وهو ما يبرز ان الضرورة اليومية ذاتها، تنفي ذلك الميل لدى البعض نحو العمل العلني، او تلك المواقف الداعية لمثل هذا السلوك. ونضيف ان مثل هذه الطروحات تقود العمل برمته الى الموقع القاتل، لان عيون العدو كما دلت التجربة مفتوحة على الدوام تراقب كل حدث، فاذا دخل مثل هؤلاء تحت عينه المفتوحة، فيمكننا حين ذلك تصور مقدار الخسائر التي ستنجم عن سلوكيات الميل نحو العلنية. وهنا لابد ان نعيد التمييز الشديد بين علنية النتائج وسرية التنفيذ، فنحن نريد سرية التنفيذ، وسرية الاخوة المنفذين، لضمان البقاء والاستمرار، والمواجهة، ونقل التجربة الى الآخرين، وايضا لابد من التمييز في هذا المجال بين نوعية العمل المعني، فالاعمال التنظيمية تتطلب السرية المستمرة، في كل المجالات التنظيمية والجماهيرية والعسكرية، بينما هناك انماط من العمل الاخرى تتطلب العلنية مثل العمل في اطار النقابات او، أولئك الاخوة المكلفين تنظيميا وسياسيا بالعمل العلني المشروع، وتحت أعين العدو.. ان هؤلاء شغفاء على عملهم، وان كانوا ينفذونه بناء على قرارات يحددها الاطار السري للتنظيم او القيادة السياسية..

اما الدعوات التي تقول، قد آن الآوان للعمل العلني او الدعوى لاختيار الاشكال السياسية والتنظيمية العلنية واستبدالها بالاطر التنظيمية القديمة، وكذلك القول انه لابد ان نهيىء الاسس التنظيمية للدولة القادمة ومنذ الآن، فانها دعوات لا تراعي الا المكاسب الشخصية الراهنة، والاخطر انها لا تجري قراءة موضوعية للواقع، ولصورة الامور كما هي، متناسين ان اخطر الامراض الثورية هي ان يعتقد الثوري ان ما في افكاره هو الحقيقة، وليس ما هو على الارض، متناسيا عن عمد ان الحقيقة هي الواقع القائم بمعطياته الراهنة، وان كان المناظل ينطلق دوما من معطيات الواقع القائمة، بهدف تغييرها لما يطمح ان يكون الافضل والاحسن لشعبه وامته.

فلنعمل بما يحافظ على الشعلة ملتهبة عطاءا ونضالا، وبما يجعل من اداء الانتفاضة في الاوقات القادمة

الانتفاضة

اكثر مضاءا وقوة، من الاوقات السابقة، وذلك يتطلب ان نعزز من وضعنا التنظيمي، وان نعزز من كل بناءات النضال ومؤسساته التي نهضت طوال السنوات السابقة. ولنوطن النفس ان النضال طويل ومستمر، وان كان هذا الامر لا ينفي ان نقرأ كل الاحتمالات الممكنة، وان نعرفها ونحسب لها، ولكن ضمن سياق رؤيتنا نحن وفهمنا للصراع وتطوراته.

فلنعمل بحيوية المكافحين، العازمين على نيل حقهم الوطني، بدون تعجل ولا استباق للامور حتى لا تنطبق علينا القاعدة الشرعية التي تقول :"من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه". ونحن لا نريد الحرمان من الوطن ولا من العمل النضالي الطويل الذي سيقود الى تحريره، والى ان تكون القدس عاصمته الوطنية.

ليبنى التنظيم في كل القرى والمدن

ثمة حقيقة اولية لا تغيب عن اذهان المناضلين وهي التي تقول؟: " طالما ان هناك تنظيم قوي وقادر، فنحن اقوياء وقادرون على مجابهة الصعاب، وقادرون على الاستمرار بالنضال الطويل حتى تحقيق أمال الامة، بغض النظر عن الزمن الذي تستغرقه هذه العملية الحضارية الطويلة. واننا نستطيع التغلب على الصعوبات التي تبرز في الطريق سواء الصعوبات الذاتية، او الصعوبات التي يضعها العدو في وجه نضالنا، ومن زاوية اخرى اذا كان تنظيما هشا وضعيفا ومتصارعا وأنانيا وشكليا، فان الصعوبات الكثيرة في الطريق ستأكله، ونكون قد هزمنا انفسنا قبل ان يهزمنا العدو". لذلك عملت كل الثورات وحركات التغيير الكبرى، على ان يكون لديها تنظيما فاعلا وقادرا، لان التنظيم في هذه الحالة يشكل الاداة التي تصنع ويعد بها المناضلين، وهو الاداة التي تعيد دراسة وقراءة التجربة واستنباط الدروس، وهو باختصار العجلة الاساسية التي تحرك الماكينة كلها، فكلما كان التنظيم حيويا ونابضا، كلما كانت القدرة على المواجهة والنجاح اعلى، وكلما كان ضعيفا و مهلهلا كلما كانت القدرات على المواجهة والنجاح اضعف. ويضاف الى ذلك في حالتنا الفلسطينية دافعا آخر لحاجتنا المستمرة لتنظيم قوي وفاعل، وهي الحاجة التي تفرضها احتياجات النضال الطويل المدى الذي نخوضه فالمؤسسة التنظيمية تشكل الضمان التاريخي للامة والشعب، لان الافراد قد يستشهدون ويمضون وبدون تنظيم فاعل، فان الخبرة تذهب معهم ويضيع كل شيء، بينما التنظيم يحمي الخبرة الجماعية، ويؤمن دائما الاستمرارية الصحيحة، وطبيعة مواجهتنا مليئة بهذه الحالة، حيث الصراع مع العدو، ادى وسيؤدي لاستشهاد كثير من الاخوة القياديين، وكان التنظيم قادرا باستمرار على ايجاد البديل الملائم لتستمر الثورة والعطاء اقوى واقوى.

وانسجاما مع تلك الأهمية القصوى للتنظيم الفاعل في ظروف ثورتنا الفلسطينية، فان الحاجة لبناء التنظيم وتفعيله في كل قرية ومدينة ومخيم، وفي كل الوطن مسؤولية ثابتة تقع على عاتق الجميع، وخصوصا الاخوة الفاعلين في الداخل وفي الامكنة التي يتواجد فيها التنظيم، يجب ان يعمل باستمرار على قراءة تجربته قراءة صحيحة، لتعميم النجاح فيها على المناطق الاخرى وثمة ملاحظة يقولها البعض ان التنظيم ربما لا ينجح في منطقة ما، ونقول لماذا؟ وهل تمت دراسة هذه المنطقة دراسة جيدة وقوية ومدققة، وهل تم اختيار المفتاح التنظيمي القادر على التعامل معها جيدا، وايضا هل أزلنا تلك العوامل التي تقف حاجزا لعدم قيام التنظيم في هذه المنطقة؟ ان الفشل في اقامة التنظيم في منطقة ما يعني اولا فشلا في الانسان المكلف، وليس فشلا في المنطقة، قد يكون هذا لانسان لم يعرف بعد ظروف هذه المنطقة او الحي، المدينة، المخيم، القرية، او ان اختيار المداخل غير الملائمة للوصول الى قلوب وعقول الناس فيها. اي ان على المعني بالامر ان يدقق بطبيعة المكان والانسان المعني بهما، ويدرس خصوصيته، ومع الزمن، وفي حال وجود التمحيص الصحيح يمكن ان تحل عملية بناء التنظيم فيها حلا صحيحا. ان عامل الزمن في عملية البناء مهمة واساسية لان البعض قد يعتقد انه يستطيع بناء تنظيم فاعل بايام او أسابيع او شهور، ان الزمن مهم أخذه بعين الاعتبار، ولكن بارتباطه بضرورة تحقيق المهمة. مهمة بناء التنظيم في المنطقة المعينة.

ان المنظم ذو دور حاسم، من حيث ثقافته ووعيه، صبره، وحسن فهمه للظروف والمعطيات القائمة. ان الزمن عامل ايجابي ولصالحنا دائما، لان ثورتنا مبنية على النفس الطويل، وصراعنا صراع طويل الامد. ان لكل منطقة وقضية مفاتيحها للحل، فاذا عرفنا هذه المفاتيح استطعنا تنفيذ مهمة بناء التنظيم بنجاح.. الاستفادة من خبرة تجاربنا في مناطق اخرى، تظل احد الاسلحة في مواجهة المنطقة الجديدة والتغلب على صعوباتها.. وعند مواجهة صعوبة ما، ان نردها الى الاطار ليدرسها، ويستخلص منها العبرة والدرس، ثم نعود لتطبيق النتيجة على ارض الواقع من جديد.

وبتلك النقاط التي يتسلح بها الكادر وهو يتوجه لمنطقة معينة لبناء التنظيم فيها، يمكنه ان يصيب النجاح، وهو ما علينا ان نعمله جميعا في كل مكان من ارضنا المحتلة ■

وحدة الشعب الفلسطيني هي الأساس

■ أدرك الشعب الفلسطيني كما أدركت قواه وقيادته دائما ان الوحدة الوطنية الفلسطينية على كافة مستوياتها هي القلعة الحصينة التي تتسور بها قضية فلسطين والنضال الفلسطيني، وخاصة في الممرات الصعبة واللحظات الحرجة.

وعندما يجري الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية فالمقصود بدقة الوحدة على كافة المستويات، سواءا في داخل اطر منظمة التحرير الفلسطينية وبين كافة الفصائل المنضوية في هذه الاطر، او في صفوف الشعب الفلسطيني بين ما هو داخل الوطن المحتل وخارجه، او في صفوف الداخل وبين كافة القوى الوطنية.

ولعل الوحدة بين الداخل والخارج والوحدة في صفوف الداخل تكتسب في هذه المرحلة اهمية تحتاج الى منتهى الدقة والتنبه واليقظة. لان هذه الوحدة مستهدفة لاكثر من سبب ومن اجل تحقيق أكثر من غرض، ولعل في مقدمة هذه الاغراض شطب قضية فلسطين، وشطب الانتفاضة، واضعاف مواقع وموازين النضال الفلسطيني والشعب الفلسطيني.

لقد بدأت مبكرا الاصوات المشبوهة التي حاولت ان تفصل بين الداخل والخارج، وقد حاولت ان تطل من جحورها في بدايات الانتفاضة في محاولة لاحداث الشرخ واظهار انقسام يؤدي في النهاية الى شطب جزء كبير من عداد الشعب الفلسطيني، وهو ذلك الجزء الذي يتوزع في الشتات، مما يؤدي بالتالي الى شطب الجوانب التي تمثل شتاتهم من عداد قضية فلسطين.

ونستطيع بكل وضوح ان نفهم اليوم هدف تلك الاصوات المشبوهة من محاولاتها التي حاولت ايضا ان تتستر بتأييد الانتفاضة والداخل لتقوم بطعنهما في واقع الامر.

ومن نافلة القول ان نؤكد ان تلك المحاولات تحطمت على صخرة الوعي الفلسطيني ووحدة الشعب الفلسطيني التي هي اصلب من كل الدسائس ومحاولات ايجاد الشروخ، لان هذه الوحدة تستند الى حقيقة الانتماء الفلسطيني المتين والى وعي الاخطار المحيطة واهداف المؤامرات والمحاولات.

لقد أدرك الشعب الفلسطيني اهمية وحدته، لانه أدرك ان هذه الوحدة هي سلاح البقاء الاساسي، فتجزئة الشعب الفلسطيني هي من اولى مقومات طمس هويته وكينونته. لذلك لم تمر كل المحاولات حتى عندما اطلقت دخان التمييز بين الخارج والانتفاضة مدعية

تأييد الانتفاضة وتمجيدها.

وفي هذه المرحلة الجديدة تتعرض الوحدة الوطنية الفلسطينية على مستوياتها الى استهداف من نوع جديد من منطلق القضاء على أداة التجسيد السياسي للشخصية الوطنية الفلسطينية وهي منظمة التحرير الفلسطينية، ومن منطلق شطب جزء من الشعب الفلسطيني من اعداد هذا الشعب تحت ستار التوطين او منح الجنسية ومعالجة مشكلة اللاجئين، ومن منطلق محاولة القضاء على الانتفاضة واضعاف موازين قوى الشعب الفلسطيني. ومن شان كل ذلك ان يؤدي الى ان يخرج الشعب الفلسطيني خالي الوفاض، وقد فقد الارض والكينونة الوطنية والوحدة والامتداد.

من هنا فان جميع المحاولات لاحداث شرخ في صفوف الشعب الفلسطيني، وخاصة داخل الوطن المحتل، او اشعال نار الفتنة، او افتعال الصراع، ما هي في الحقيقة الا روافد لهذا المجرى التآمري وللوصول الى ضرب الشعب الفلسطيني.

وبالتأكيد لا يهم الاحتلال الصهيوني او الخصوم الاخرين من الغالب ومن المغلوب في مثل هذه الحالة، وانما ما يهمهم هو ان يخرج الشعب الفلسطيني برمته وقد ضعفت مواقفه ونقصت اوراق قوته وخفت موازينه.

يجب ان تنظر من هذا المنطلق الى كل محاولات احداث الشرخ او الفتنة او الصراع، وان ننظر الى كل من يصب الزيت على نارها على انه يخدم خطة العدو واهدافه، سواءا نتيجة للجهل وضيق الافق، او نتيجة لسوء النية والتواطؤ.

ان كل سلاح يمتد من الفلسطيني الى صدر الفلسطيني الوطني، ما هو الا سلاح بيد العدو. وان الوضع الصحيح ان تتجه كل اسلحة الفلسطينيين الى صدر العدو مهما اختلفت آراءهم او وجهات نظرهم او افكارهم.

يجب ان يتم دائما تغليب التناقض مع العدو الصهيوني على كل التناقضات الاخرى. وما من شك ان خندق العدو الصهيوني يتضمن عملائه الذين وضعوا انفسهم في صفوفه ولكن على اساس الادلة القاطعة وضمن الاصول الثورية التي تضمن عدم الخطأ، وتحول دون فتح الثغرات والمنافذ التي ينفذ منها العدو بأساليبه ودسائسه.

اذن ان من واجب كل الوطنيين الفلسطينيين ان يرفعوا كل اسلحتهم في وجه العدو، في وجه سلطات الاحتلال، وان تبقى تمايزاتهم او تنافسهم في الاطار الوطني وضمن الهوامش التي تسمح بها ظروف الوحدة الوطنية وان لا تكون على حساب هذه الوحدة، او المشاركة في العمل ضد الاحتلال.

لقد رفعت فتح منذ البداية شعارها "البنادق كل البنادق باتجاه العدو"، واكدت دائما عبر مسيرتها اولوية النضال الرئيسي ضد الاحتلال الصهيوني، وهي الآن انطلاقا من صميم مبادئها ومفاهيمها تعود لتؤكد من جديد على تلك الاولوية، وتدعو كافة القوى الوطنية الفلسطينية وكافة ارتال الشعب الفلسطيني، وخاصة داخل الوطن المحتل ان يجعلوا قضيتهم المشتركة ضد العدو هي برنامجهم اليوم وأداة لقائهم ووحدتهم.

وعندما تؤكد فتح على الوحدة الوطنية الفلسطينية فانها تعني الوحدة بكل مستوياتها وشموليتها ودون اي استثناء.

من هنا فان فتح تنظر باهمية بالغة الى وحدة الفصائل والقوى المنضوية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية، والى وحدة هذه القوى وتفاهمها مع كل القوى الوطنية الاخرى، والى الوحدة بين الداخل والخارج، والى الوحدة في اطار صفوف الداخل. بغض النظر عن الموقف السياسي الآني او المرحلي، المهم ان ننطلق جميعا في معاداة الاحتلال ومخططاته وممارساته واعماله العدوانية.

وعلى هذا الاساس، فان فتح تدين وترفض اية محاولة لاحداث الشرخ او تأجيج نار الصراع او احداث الفتنة، وتعتبر ذلك عملا يصب في خانة الاحتلال.

ان الشعب الفلسطيني يخوض معركة ذات ابعاد مختلفة، ومنها ذلك البعد الديموغرافي الذي يحتم علينا ان نهتم بآخر جزء من جالياتنا في العالم الفسيح، والذي يحتم علينا من باب اولى ان نتوحد على أرض الوطن، لان الوحدة هي ورقة القوة الاساسية، وهي حصن قضيتنا ونضالنا وكينونتنا ■

قضايا عربية

عواصف صحراء جديدة

■ بصدور قرار محكمة العدل الدولية برفض طلب التحفظ الليبي على دعوات الولايات المتحدة وبريطانيا، وبالرفض الغربي للأقتراح الليبي الاخير بتسليم المتهمين الى مالطا، تصل محاولات الوصول الى حلول ما لوقف تنفيذ القرار رقم ٧٤٨ ضد ليبيا الى طريق مسدود. وبهذا يدخل الحظر الجوي والعسكري بداية من ٤/١٥ حيز التطبيق العملي. ولتكتمل المفارقة القاسية بقيام سفراء كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في الامم المتحدة باستدعاء السفير العراقي لتحذيره من الانعكاسات الخطيرة والجديةالتي يمكن ان تنشأ عن تدعيم الوجود العسكري العراقي في شمال العراق خصوصا التواجد الهام لصواريخ سام على خط العرض٣٦، وكذلك اجهزة الرادارات الضخمة المركبة على الصواريخ.

ومن المعروف ان ليبيا قدمت من قبل عدة عروض رسمية للوصول الى حلول ما لازمة لوكربي، فهي قامت بتاريخ ١٨ تشرين الماضي بفتح تحقيق قضائي لتحديد مسؤولية المواطنين الليبيين الاثنين في أعتداء لوكربي، وفي ٩ كانون الماضي اعلنت ليبيا عن فتح تحقيق قضائي في قضية الاعتداء على الطائرة الفرنسية، كما طالبت في ٨ كانون الثاني عقد دورة للجمعية العامة للامم المتحدة حول الارهاب الدولي وتؤكد ان اعتداء لوكربي ليس من اختصاص مجلس الامن لكن هذا الطلب رفض يوم ١٤ شباط. وفي الاول من اذار اعلن امين اللجنة الشعبية الليبية للاتصال الخارجي اقتراحا بمحاكمة الشخصين المشبوه فيهما على ارض محايدة. وفي ٢٣ اذار تقرر ليبيا تسليم مواطنيها الى جامعة الدول العربية وبدورها تقوم بتسليمها الى الامين العام للامم المتحدة.

والسؤال حقا لماذا يجري كل هذا وفقط ضد دول المنطقة العربية. وهل يمكن للمتتبع ان يفصل ما يجري في قضية لوكربي عما جرى مع العراق خلال عاصفة الصحراء؟ واستمرار الغرب في ملاحقة انتاجه العسكري والتسليحي والنووي حتى بعد ان انسحب من الكويت منذ عام ونصف، في الوقت الذي تستمر فيه اجراءات الحصار الاقتصادي التجويعي اللئيم ضد الشعب العراقي، رغم قيام العراق بتنفيذ الكثير من الشروط الدولية التي اقرتها قرارات مجلس الامن المختلفة، واخرها تنفيذه لهدم مجمع الاثير النووي، وقبوله رسميا لتحليق طائرات الاستطلاع التجسسية يو ٢.

ان ما تقوله الوقائع السابقة، وهو ما يبدوا تدركه القيادة الليبية، بأن لا حدود لما تريده امريكا، غير الخضوع الكامل لما تريد، دون اي التزام محلي بحدود السيادة الداخلية، فهل اذا قامت ليبيا بتسليم المتهمين، يتوقف الامر عند ذاك الحد، ام تتواصل المطالبة لمن يعتقد انهم مهتمون اخرون ؟؟

النظام الدولي الجديد ... والوطن العربي

يقول جوزيف نان الابن في دراسة تحت عنوان "تحديات جديدة امام امريكا": .. من اجل فهم دور الولايات المتحدة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، لا بد من ادراك اهمية ان تتمتع امة من الامم بقوة "صلبة" وقوة "ناعمة" تتمثل الاولى في القدرة على قيادة الاخر وقمعه اذا لزم الامر، ويتطلب ذلك بشكل عام استخدام وسائل مادية محسوسة، مثل القوة العسكرية والاقتصادية. وتتمثل القوة الثانية، "أي القوة الناعمة" في القدرة على ضمان تعاون الغير - أو اي طرف ثالث - بدل الطاعة، وذلك بجعله يفعل ما هو مطلوب. ولقد ادرك القادة السياسيون والفلاسفة منذ القدم، ركائزالقوة الناعمة التي تعتمد على تأثير الافكار، وامكانية ضبط الرزنامة السياسية، وتحديد اطار اي نقاش، بطريقة تمكن من تطويع الافضليات التي عبر عنها الاخرون. وتنزع القوة الناعمة الى الارتباط بمصادر غير مادية مثل الثقافة والايديولوجيا واللجوء الى المؤسسات الدولية. خلال أزمة الخليج كان من المهم ارسال قوات عسكرية، على وجه السرعة الى السعودية، غير انه كان من المهم ايضا الحصول على قرار من الامم المتحدة،ينص على كون دخول العراق الى الكويت يشكل خرقا للقانون الدولي ومن دون القرار كان من الصعب على السعوديين قبول القوات الامريكية، كما كان من الصعب على الجامعة العربية دعوة اعضائها للمشاركة بقواتها.

ما تؤكده الكلمات السابقة ان امريكا بسعيها لتثبيت النظام الدولي الجديد الذي تريده احادي القطبية، وبزعامتها المطلقة، لاتجد خيرا من المنطقة العربية تمارس بها كل تجاربها للوصول الى تطبيق امثل لهذا النظام الدولي الجديد. نظرا لما يمثله العالم العربي من خاصرة لاوروبا، وما تحويه اراضيه من مواد اولية، وعلى رأسها ثروة النفط، وما تملكه من رؤوس اموال كبيرة وفرتها الطفرة النفطية،وفي هذا المجال يمكن ان نقرأه ما لخصه جورج بوش الرئيس الامريكي في تحليله لمصالح امريكا في الخليج بقوله ".. اذا خضعت اسواق الطاقة العالمية لارادة ديكاتور طموح، واذا لم تتمكن الامم المتحدة من معارضة مثل هذا الاعتداء الصارخ عشية الخروج من الحرب الباردة، فأن الولايات المتحدة سوف تحكم على نفسها بمستقبل قاتم "ويضيف جوزيف نان الابن".. وهكذا فان السياسة التي تم توخيها في الخليج سوف تؤثر بشدة في الانعطافات التي قد تشهدها النزاعات الاقليمية، وكذلك دور الامم

المتحدة في مجال الامن الجماعي، وفي ارداة الولايات المتحدة لعب دور متفوق في النظام الدولي الجديد.

وهكذا تتوافق التحاليل الدولية للكتاب والمسؤولين الغربيين، مع الوقائع المنظورة على ان الوطن العربي اصبح الان مسرحا مفتوحا وخصبا لرسوخ الارادات الغربية، وليبقى عالما منزوع القدرة في التحكم بثرواته، والابقاء عليه سوقا مفتوحا للنهب الدولي، لحل ما يعانية من ازمات اقتصادية، وخصوصا ان الولايات المتحدة التي تجد نفسها الان في وضعية اقتصادية متدنية قياسا، باقتصاديات الدول المنافسة الاخرى وخصوصا بالنسبة لليابان واوروبا الموحدة.

النظام العربي.. والأزمات

هل يمكن القول ان هناك نظام عربي موحد في تعاطيه مع الازمات الكبرى، في التعامل مع قضية العراق رأينا قسمين من العرب عرب عاصفة الصحراء، وعرب وقفوا ضد عاصفة الصحراء، وفي أزمة ليبيا، نرى هناك في الشكل نوعا اكثر وحدة مما جرى مع العراق ولكن عمليا، نرى ان قرارات الجامعة العربية حول القضية لم تتعدى دفع ليبيا للبحث عن حلول ما لحل الأزمة، وعرضها ان تستلم هي المطلوبين الليبيين، وتقوم من بعد بتسليمهم الى الأمين العام للأمم المتحدة، وفي الوقت نفسه اصدرت بيانا عاما لا يسمن ولا يغني من جوع للتضامن مع ليبيا. اي ان القرار النظامي العربي في هذه المرحلة يعمل تحت قانون "ليقلع كل شوكه" و"الشاطر من يحمي رأسه". بينما رجل الشارع العربي يدرك ويعي، ان ما جرى للعراق اولا وما يجري لليبيا الان،ليس سوى نماذج ليكون الدور القادم على السودان ومن بعد سوريا، والفلسطينيين وهلم جرى. متندرين باسى بحكاية "أكلت يوم أكل الثور الابيض". ويقول رجل الشارع العربي لو أعدنا ترتيب الصورة عربيا على النحو التالي: لو قام النظام العربي، بكل دوله برفض تطبيق قرارات مجلس الامن سواء بالحصار الاقتصادي على العراق، أو بالحظر الجوي على ليبيا، الا يكسر الحصار في مفاصله؟ والا يدفع ذلك بالدول الكبرى لان تعيد حساباتها وتنحو منحى عقلانيا يبحث عن حلول سلمية ومعقولة لما يثار من قضايا؟

وايضا أليس بمقدور هذا النظام العربي ان يربط تنفيذه لقرارات مجلس الامن، بتنفيذ المجلس لقراراته المتعلقة بالكيان الصهيوني؟ بل ماذا سيفعل النظام العربي عندما ستتوجه ادانات النظام الدولي الجديد الى اقطار اخرى بحجة ما من الحجج مثل ان هذه الدولة لا تريد ان تبيع برميل النفط بدولار واحد فقط؟ او لان هذه الدولة تشتري الموز الصومالي بدلا من موز مدينة ديترويت الامريكية مثلا؟ انها تساؤلات بحجم اللا نظام الذي يعانيه الراهن العربي.. وثمة تساؤل اخر، هناك دولة عربية او دول عربية ستخسر الملايين او مئات الملايين من التزامها بالحظر المفروض على ليبيا، لما لها من عمالة هناك، وباعتبار ليبيا موردها الرئيسي من المال او النفط، فماذا وعلى اي شاكلة ستتصرف بناء على مخاسرها المنظورة، اذا اسقطنا من الحساب الاخوة العربية والتجاور وما الى هناك من اسباب وعوامل مشتركة تفترض مواقف من نوع اخر.؟

. ويضاف الى هذا المساوىء في الوضع العربي، ان الامين العام للأمم المتحدة، وهو الشخصية العربية الوحيدة التي تسلمت مقاليد هذا الموقع الدولي الأساسي، خرج علينا بفهم جديد لم يسبقه اليه احد من الامناء السابقين للهيئة الدولية والمتعلق بقوله: بأن "قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ غير ملزم لانه لا يتطابق مع المادة السادسة والسابعة من ميثاق الأمم المتحدة ومجلس الامن ؟ وهو ما يشكر عليه لانه وضع الحقيقة (وان كانت مرة امام الانسان والنظام العربي)، حقيقة المعايير المزدوجة للتعامل الغربي مع القرارات والمفاهيم والأسس التي تتعلق بالامة العربية وقضاياها. وثمة سؤال اخير..ان العالم بكل دوله تبحث عن مصالحها وقضاياها، في عالم تحكمه المصالح، فالى متى يستمر النظام العربي في ضرب مصالحه بمواقفه الداخلية، وبانصياعه غير المبرر لمصالح الاخرين؟..

الامة والمواجهة

ان الجميع .. نظم وقوى وتيارات وجماهير، معنية بما يجري، سواء ارادت الاعتراف بذلك، او لاذت بالصمت الثقيل، فالامة تمر الان بأسوأ مرحلة تاريخية، فالى متى.. طالما ان كل نكوص امام الاخرين، والقبول بشروطهم الظالمة، يؤدي الى ان يستمروا في اهدافهم، وينتقلوا الى نقاط وأهداف جديدة، ان الدفاع عن هذا القانون الطبيعي الذي تلجأ اليه الكائنات الحية للدفاع عن بقائها حق انساني مشروع، ولذلك على التيارات النضالية في الامة ان ترتقي الى مستويات الصراع والتحديات، وان تلجأ الى المصالحات التاريخية فيما بينها وخصوصا بين التيارات الاسلامية والعربية والديمقراطية، وان تضع برامج عمل، تبدأ من نقاط فك الحصار الانساني عن العراق وليبيا، والانتصار للشعب الفلسطيني في انتفاضاته الكبرى، والمطالبات المستمرة بتطبيق قرارات المجالس الدولية المتعلقة بالأراضي العربية، وان يبدأ بحشد الطاقات العربية وهي كثيرة ووافرة. اما النظام العربي، فلا يعتقد ان من ينجوا منه اليوم، قد ينجوا منه غدا طالما استمرت الأساليب الراهنة. فالنظام الدولي الجديد، اذا لم نحسن معرفته والتعامل معه على قاعدة الامة الواحدة والقوة الاقليمية الموحدة، فأنه سيكون على حساب حاضرنا ومستقبلنا.. من خلال استتباعنا كمنطقة ومواد خام وسوق.. فكيف نحفظ ونحافظ على مستقبل حاضرنا ومستقبل الأجيال أنه السؤال الذي منه المنطلق؟؟ ■

قضايا دولية

ارهاصات جديدة

■ تمر الساحة الدولية بحركة سياسية غنية تبشر ببروز معادلات اقليمية ودولية جديدة في المستقبل القريب ممهدة لاستقرار الاوضاع الدولية على هيكل للنظام الدولي الجديد الذي بدأ يطل علينا من خلال توازنات جديدة على الاصعدة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية.

فالخريطة السياسية الاقليمية والدولية تعج بالحركة والصراعات والاحتمالات من خلال الانتخابات الرئاسية والبرلمانية من جهة والتعبيرات السياسية عن توازنات القوى الجديدة من جهة ثانية.

عام الانتخابات

- تشهد عدة دول اساسية انتخابات رئاسية وبرلمانية كالولايات المتحدة الامريكية، بريطانيا، فرنسا، المانيا، ايطاليا، ايران، كوريا الجنوبية، جنوب أفريقيا، "اسرائيل"، تبشر بتعديلات في المسارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية سيكون لها دور كبير وخطير في تحديد مستقبل العالم وصورته.

فالانتخابات الرئاسية الامريكية التي اعتبرت من (أعنف الانتخابات الرئاسية) لا تبشر، حسب بعض المراقبين، في تغيير درامي، اذ ان بوش لا يواجه مرشحا ديمقراطيا قويا، غير ان المعركة الانتخابية لن تكون سهلة وعديمة المفاجآت. فهناك المرشح الجمهوري (بوكانان) الذي وان لم يشكل خطرا فعليا على بوش الا انه شكل تحديا حقيقيا على صعيد استنزاف امكانات بوش المالية بالصرف على حملته الاولية للترشح باسم الحزب الجمهوري من جهة، وعلى تحديد البرنامج السياسي - الاجتماعي لمرشح الحزب الجمهوري : فقد أعلن بوكانان: (ان الهدف الاساسي لحملته الانتخابية هو اجبار الرئيس بوش على العودة للالتزام بخط الحزب وسياسته). هذه السياسة التي يرى الجناح المحافظ من الجمهوريين ان بوش قد تخلى عنها لصالح سياسات اكثر ليبرالية وخاصة في مجالي الضرائب والخدمات.

لقد ادت سياسة بوش الاقتصادية واهتمامه بالسياسة الخارجية على حساب السياسة الداخلية الى تدني شعبيته حتى ٣٧ ٪ بعد ان كانت اثر العدوان الامريكي على العراق ٨٩ ٪. وقد ربط بين هذا التدني الكبير والمتاعب الاقتصادية والضرائب التي اثقلت كاهل الناخب وزادت مخاوف الشعب الامريكي على المستقبل.

فهو، اي بوش، يكره مقارنته بهوفر - الرئيس الامريكي في فترة الكساد العظيم - لكنه، كما يقول مورتيمر زوكرمان: (يواصل في سياساته التي تجعل المقارنة حتمية). فعلى غرار هوفر عام ١٩٣٠ كان الجواب الاول للرئيس: أي ركود، ثم قال: ان الوضع سيتحسن، بعد قليل قال: نعم كان هناك ركود لكنه انتهى، واتبع ذلك بالاعراب عن قلقه، ثم اشار الى ان الوضع على ما يرام (عندما كان يشير الى تسريح ٢٤١ الف عامل ووصفه بـ "تفاصيل غير مهمة") واخيرا اعترف (نعم يا فرجينيا هناك ركود).

طيلة فترة الركود كان بوش، كما هوفر، يبحث عن من يحمله مسؤولية الركود. ففي عام ١٩٢٠ القيت اللائمة على الاوروبيين واليوم يقال ان الركود صنع في اليابان. يعلق زوكرمان قائلا: هذا القول ما هو الا مثال للتظاهر القومي الذي يتنافى مع واحد من مبادىء معدودة تلتزم بها ادارة بوش الا وهو مبدأ التجارة الحرة. ان مثل هذا القول مرفوض، ولدعاة الشوفينية نقول ان ما تستورده اليابان من امريكا اليوم يفوق ما تستورده امريكا من اليابان واذا ما حسبناه لكل فرد ٣٧٨ دولارا للفرد الياباني و٣٥٧ دولارا للفرد الامريكي.

اننا، يقول معلق امريكي، ندفع ثمنا باهظا للسياسة الاقتصادية في حقبة ريغان - بوش، فلولا تكاليف الفوائد المستحقة على العجز الاضافي في الميزانية الذي بلغ ٢٥٠ مليار دولار والخسائر التي نجمت عن اعادة النظر في السياسة الصناعية والتي بلغت ١٠٠ مليار دولار

لكانت الميزانية الاتحادية الآن متوازنة. فالديون هي التي تقتل النشاط الاقتصادي. والكل غاطس فيها حتى أذنيه، يدفع الفوائد عن قروض سابقة بدلا من قروض جديدة. ففي الفترة ما بين ١٩٨٢ و ١٩٩٢ تضاعف حجم ديون القطاع العام اربع مرات في حين تضاعفت ديون العائلات الامريكية ثلاث مرات وارتفعت نسبة ما اقترضه الامريكيون - مستخدمين منازلهم كرهونات، من ٣٧٪ عام ١٩٨٠ عندما كانت قيمة المساكن مرتفعة، الى ٥٨٪ حاليا في وقت تنخفض فيه هذه القيمة باستمرار، وبلغت معدلات الافلاس ارقاما قياسية.

هذه الصورة القاتمة التي يعيشها الاقتصاد الامريكي جعلت بوش تاجر سيارات شرس، يهدد بالحمائية التي تتناقض مع (التجارة الحرة) من جهة وساعدته من جهة، ثانية في موقفه من ضمانات القروض "لاسرائيل"، مما شل حركة اللوبي الصهيوني لان المساعدات لا شعبية لها ولا يستطيع احد ان يدافع عنها في ظل المأزق الاقتصادي الخانق. لكنه سيبقى في عنق الزجاجة ولن يفيده كثيرا الهروب الى الساحة الدولية وتأجيل حل ومواجهة المشاكل الداخلية.

اما في بريطانيا فبالرغم من فوز حزب المحافظين فان الاوضاع لن تكون سهلة أمام ميجر، والسبب هو المأزق الاقتصادي ايضا. فالبطالة قد بلغت ٩،٤ ٪. ومن المتوقع ان ترتفع الى ١٠ ٪ مع تزايد التدهور في النظامين الصحي والتعليمي بالاضافة الى تخلف بريطانيا الصناعي بالقياس الى الدول الصناعية الاخرى. فاذا كان الناخب البريطاني قد اختار المحافظين فلان حزب العمال لم يستطع اقناعه بانه سيقدم حلولا افضل. الا ان ذلك لن يلغي المأزق الذي تعيشه بريطانيا. واذا صح ما قيل ان انهيار سعر صرف الجنيه الاسترليني هو الذي دفع بريطانيا في الخمسينات الى الانسحاب من شرق السويس فان البطالة والكساد وتدني المستوى التعليمي والصحي والصناعي سيؤدي الى المزيد من التدهور في معدلات الفائدة والى بطء الاصلاح الاقتصادي وسيجعل تغيير السياسة الخارجية ضرورة حتمية.

وفي فرنسا حقق الحزب الاشتراكي الحاكم اسوأ نتيجة انتخابية منذ ٢٤ سنة، فبالرغم من المشاركة الشعبية العالية في الانتخابات (٦٩ ٪) فان الحزب لم يأخذ الا ١٨،٣ ٪. وهذه الانتخابات (اقليمية وادارية) ستحدد مستقبل الحزب في الانتخابات العامة ١٩٩٣.

فالشعب الفرنسي يحمل الحزب مسؤولية سوء الحالة الاقتصادية (٣ مليون عاطل عن العمل) وسوء الحالة السياسية (الانقسام في صفوف الاحزاب الكبيرة) وقد عبر عن امتعاضه بالتصويت للاحزاب الصغيرة وجعل حالة التشرذم والتفكك السياسي التي تمر بها البلاد حالة دائمة وليست طارئة.

لقد افرزت الانتخابات البريطانية والفرنسية والالمانية والايطالية ظاهرة جديدة. الميل الى تأييد الاحزاب الصغيرة وهي احزاب يمينية متطرفة وهذا يعكس حالة التفكك السياسي ويبشر بصراعات داخلية وعدم استقرار ربما كان لها انعكاسات خطيرة على السياسات الخارجية لهذه الدول.

أما في "اسرائيل"، والتي تسعى حكومة شامير، عبر التصعيد الى تحقيق مكاسب انتخابية فانها تعاني من أزمة مزدوجة داخلية وخارجية. فعلى صعيد علاقاتها بالولايات المتحدة ثمة ازمة آخذة بالاشتداد بدأت بمسألة القروض لتنتقل الى مسائل المستوطنات والقمع الاسرائيلي للفلسطينيين ومستقبل الاراضي المحتلة. كما يمكن قراءة ما اثير من فضائح للموساد في النرويج وهولندا وما نشأ من ازمة بين كول والمؤتمر اليهودي كمؤشر على تراجع النفوذ اليهودي العالمي من جهة، وعلى تزايد الضغوط الخارجية على القيادة الاسرائيلية والتي لا بد ان تعكس آثارها على الداخل نفسه وتعمق ازمة الليكود الداخلية. فحزب الليكود يواجه تصدعات في داخله بدأت بانشقاق موداعي وتشكيله لحزب الليبراليين وتهديد ليفي بالاستقالة وانفضاض السفرديم والمهاجرين السوفييت من حوله، كل هذا دفع المحللين الى ترجيح فوز حزب العمل بقيادة اسحاق رابين في الانتخابات القادمة، الامر الذي اذا ما تحقق سيدخل المفاوضات العربية - الاسرائيلية في مرحلة جديدة. فحزب العمل اكثر مرونة من الليكود ولديه مقدرة على تجنب الضغط الدولي عبر المناورة في الملفات التي ستطرح على طاولة المفاوضات، لكنه لن يكون قادرا على انجاز تسوية وهذا سيضع المفاوضات في مأزق شبه دائم وسيعلق مصيرها على نمط الرد الدولي عامة والامريكي، وخاصة على اختناقها وجمودها.

صراعات وتوازنات

برزت على مستوى الحركة السياسية الاقليمية والدولية مواقف وممارسات كثيرة لها سمة اعادة النظر

وتحديد المواقف والمواقع. فعل صعيد اوروبا الموحدة، برزت المانيا الجديدة بحركتها ومواقفها من المستجدات الاقليمية والدولية ساعية الى لعب دور تؤكد فيه على هويتها وشخصيتها وموقعها في النظام الدولي الجديد. لقد بدأت في الحديث عن (اكبر اقتصاد في أوروبا، وأكبر شعب، ٨٠ مليون في اوروبا) كمقدمة لتأكيد شخصيتها وحضورها على الساحتين الاوروبية والدولية. فلها دور مهيمن في مساعدة الاتحاد السوفياتي سابقا، وروسيا لاحقا، لاخراجه من أزمته. والمؤسسات الالمانية تحصل على افضل العروض في أسواق اوروبا الوسطى. وتلعب الدور الاساسي ليس في نسق الاندماج الاوروبي وحسب، وانما في موقع اوروبا في النظام الدولي الجديد. لقد طالبت بان يكون لاوروبا مقعدا في مجلس الامن لتكون ممثله فيه وفي توجيهه. وطالب كول ان تكون اللغة الالمانية لغه عمل في المجموعة الاوروبية وذكر بانها اكثر اللغات انتشارا في اوروبا (١٠٠ مليون يتحدثون الالمانية) كما طالب بان تحصل المانيا على ١٦ مقعدا في البرلمان الاوروبي كمقابل لالمانيا الشرقية فيكون لها ٩٩ مقعدا، أكبر كتلة نيابية في البرلمان.

كما تجلى التحرك الالماني في حل نزاعات البلقان، حيث فرضت على المجموعة الاوروبية الاعتراف بكرواتيا وسلوفينيا. واعتبر كول التصرف الالماني ازاء يوغسلافيا نجاحا للسياسة الخارجية الالمانية.. واوقفت شحنات السلاح الى تركيا، لان تركيا استخدمت الاسلحة ضد الاكراد دون استشارة شريكاتها واستقبل كول فالدهايم (مثيرا، حسب بعض المعلقين، شجون الماضي) كاسرا العزلة عن فالدهايم. وقد رد على منتقديه: (انا كمستشار اقرر من اقابل ومن لا اقابل، لا اريد نصيحة من أحد).

لقد ازعجت التحركات الالمانية دولا في المجموعة الاوروبية، خاصة بريطانيا وفرنسا، وأخافتهم. ودفعت جيمس رولو، من المعهد الملكي للشؤون الدولية بلندن للقول: (ان ما نراه هو ان المانيا قد أخذت ترتدي الدرع في اوروبا... المانيا تحاول ان تعكس حجم قوتها، لقد أصبح لديها ثقة بالنفس بما يكفي لتتصرف منفردة).

تريد المانيا، كما قال كول، (ان تكون في المقدمة في السياسة، كما هي في المقدمة في تقديم الأموال... فانا لا أنكر اننا الآن ٨٠ مليون نسمة ونحن الاقوى.. اننا رقم (١) من حيث القوة الاقتصادية في اوروبا. لا أستطيع ان أنكر ذلك . ونحن القوة السياسية الأولى في اوروبا لا أستطيع أن أنكر ذلك ايضا، ولا أحد يستطيع ان ينكر ذلك).

لم يعد الألمان على استعداد للبقاء في مقعد ثانوي. فلديهم قاعدة صناعية قوية وعملة قوية. لقد بدأت المانيا، كما قال احد المعلقين، في الاستيلاء على اوروبا الشرقية ليس بالاسلحة ولكن بالمارك الالماني الاقوى من كل ذلك. وتساءل غريغوري ترينتون: لماذا لا تصبح المانيا القوة المهيمنة في اوروبا .. انها الأكبر والأكثر ديناميكية؟!.

تتحرك المانيا على صعيد المؤسسات الامنية الاوروبية باعتبارها اكبر قوة تقليدية (٤٥٤ الف جندي) وان لها مسؤولية متزايدة بعد انسحاب القوات الامريكية من اوروبا. فاذا احتفظت بريطانيا وفرنسا بقدراتها النووية، فان لالمانيا كلمة في كيفية استخدام هذه القوات فى الدفاع عن اوروبا، واذا لم تحتفظ بريطانيا وفرنسا بقدارتها النووية فان المانيا قد تقرر ان تمتلك السلاح النووي لمواجهة التهديد الذي يمكن ان يأتي من اوكرانيا.

ان المعادلة القديمة التي كانت تصف المانيا انها عملاق اقتصادي قزم سياسي لم تعد صحيحة الآن.

وعلى صعيد آخر فقد ظهر قلق شديد في أوساط العالم الغربي من نتائج التطورات التي افرزها انهيار الاتحاد السوفياتي وقيام الكومنولث الجديد. لقد ولت لحظات النشوة بالانتصار على الاشتراكية والشيوعية والفرحة من انهيار الاتحاد السوفياتي ليحل محلها قلق شديد بسبب غموض الوضع الجديد وعدم القدرة على معالجته والسيطرة عليه، خاصة لجهة التحكم في مصير ومستقبل الاسلحة النووية السوفياتية. والخوف من تسرب هذه الاسلحة والخبرات الى دول اخرى، كذلك الخوف من الانفجارات الاجتماعية التي قد تنتج عن المجاعات والتناقضات القومية والاثنية والدينية والحدودية. لذا فقد حظي الوضع باولوية في السياسات الغربية في محاولة لتطويق الاخطار التي قد تنجم عن بؤر التوتر والتفجر وعدم الاستقرار، من جهة ومنع تسرب الخبرات والاسلحة النووية الى دول العالم الثالث، وخاصة الدول الاسلامية.

لقد صنع الغرب عدوه وتجمع حول نقطة جديدة،

جعلت من الاسلام والدول الاسلامية الخطر الجديد. فالولايات المتحدة، والتي لا تستطيع العيش دون عدو خارجي تخطط سياستها على ضوء الصراع معه من جهة وتخيف حلفاءها لابقاءهم تحت الهيمنة من جهة ثانية، بدأت في دق طبول الحرب ضد القنبلة النووية الاسلامية، وبدأت في خلق نقاط استقطاب في الكتلة الاسلامية بين ايران وتركيا والسعودية لجعل بأسها بينها من جهة، ولدفع تكاليف المعركة من المال العربي والاسلامي من جهة اخرى.

تجارة السلاح

ساحة الصراع والتنافس الاخرى هي ساحة التجارة عامة، وتجارة السلاح خاصة. فالبرغم من المحادثات التي اجرتها ولا تزال تجريها الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الامن حول ضبط انتشار الاسلحة في العالم عامة والشرق الاوسط خاصة، فان هذه الدول تتنافس في واقع الامر على من يفوز باكبر العقود والصفقات لبيع الاسلحة الى دول الشرق الاوسط، والدول الخليجية خاصة، من اجل تعديل ميزان المدفوعات من جهة، ودعم صناعة الاسلحة التي تعاني من الركود في هذه الدول من جهة ثانية.

لقد تعهدت الدول دائمة العضوية بوقف ارسال اسلحة الدمار الشامل والصواريخ البالستية الى منطقة الشرق الاوسط، كما وعدت بالحد من بيع الطائرات والدبابات الحديثة الى هذه المنطقة، والاكتفاء بارسال الاسلحة اللازمة لاحتياجات الدفاع.

غير ان تجارة السلاح عادت، بعد الحرب العدوانية ضد العراق، الى الازدهار في منطقة الشرق الاوسط عامة والخليج خاصة. وبصرف النظر عن التصريحات الرسمية الامريكية، فان الولايات المتحدة هي اول مزود للسلاح للشرق الاوسط. فامام الكونغرس، الان مشاريع بيع اسلحة: طائرات، صواريخ باتريوت، صواريخ هوك، دبابات ام ١- آي - ٢ . فاذا نجحت وزارة الدفاع في تمرير هذه الصفقات، فان الولايات المتحدة ستصبح اكبر مورد اسلحة الى هذه المنطقة، ومن الجدير بالذكر ان الكونغرس في حيرة من امره، فهو من ناحية لا يرغب في تصعيد سباق التسلح في الشرق الاوسط، وهو من ناحية اخرى يواجه ضغوطا قوية من المجمع الصناعي العسكري الذي يريد انقاذ الاف الوظائف من جهة، واستمرار تدفق عائدات بيع الاسلحة من جهة اخرى.

تتركز المنافسة الدولية على بيع الاسلحة الى دول الخليج العربي مستثمرة حالة الخوف والهشاشة الموجودة من جهة ووجود السيولة النقدية من جهة، ثانية، وأول معركة رئيسية في هذا الميدان تدور حول من سيفوز ببيع طائرات للمملكة العربية السعودية التي تسعى الى تعزيز قدرتها الدفاعية والتي طلبت ٧٢ طائرة اف - ١٥ امريكية بقيمة تبلغ ٥ مليار دولار، بينما تامل بريطانيا ان تبيع للمملكة السعودية، ٤٨ طائرة من نوع تورنادو ضمن برنامج اليمامة.

كما تحاول الولايات المتحدة بيع ٣٣٧ دبابة ام - آي -٢ للامارات العربية، وبيع صواريخ باتريوت وصواريخ هوك الى الكويت وقطر. اما بريطانيا فقد تفاوضت مع الكويت لبيع دبابات من طراز فيكرز تشالنجر - ٢، وانواع اخرى من الدروع، كما ان مؤسسة ثورنيكروفت البريطانية للصناعات البحرية تعد العدة لتبيع عمان فرقاطتين مزودتين بالصواريخ.

فرنسا من جهتها تبذل قصارى جهدها لبيع طائرات ميراج وتكنولوجيا تابعة لها للكويت وللامارات العربية الخليجية الاخرى.

الصين وروسيا بدورهما تسعيان الى تسويق اسلحتهما والحصول على نصيب من سوق السلاح في الشرق الاوسط. فمن المعتقد لدى الغرب ان الصين تخرق قواعد نظام ضبط انتشار اسلحة الدمار الشامل وتكنولوجيتها ببيع صواريخ الى سوريا وايران والعراق والعربية السعودية. وروسيا عرضت، ضمن جهد محموم تبذله، اسلحتها الحديثة باسعار زهيدة بالقياس الى الاسعار الاوروبية، كما عرضت بيع اسلحتها القديمة مقايضة بالنفط او بالمواد الغذائية والسلع الاخرى.

ان جملة الارهاصات التي اشرنا اليها على سبيل الذكر لا الحصر، تبشر بميلاد معادلات سياسية مرحلية ودائمة ستحدد هوية النظام الدولي الجديد الذي اختلف بشانه المحللون السياسيون والاستراتيجيون بين مبشر بنظام أحادي القطبية، تلعب فيه الولايات المتحدة دور شرطي عالمي. وبين مبشر بنظام متعدد الاقطاب تكون فيه اوروبا الموحدة ومركزها المانيا القوة الاولى، تليها امريكا الشمالية بقيادة الولايات المتحدة ثم اليابان والكتلة الآسيوية.

العالم في حركة فأين نحن عربيا وأقليميا من هذه الحركة، وما هو دورنا واين هو موقعنا؟ ■

تحولات جذرية في فلسطين

١٨٥٦ - ١٨٨٢

أ. د. الكساندر شولش
ترجمه عن الالمانية: د. نظام العباسي

* يعتمد الباحث الالماني الدكتور (الكساندر شولش) على مصادر وثائقية اصلية، لم يكتشفها اي من الباحثين قبله، وقد استطاع في بحثه هذا، الكشف عن جزء هام من تاريخ فلسطين الحديث. وقد حاول المؤلف في زياراته المتعددة لمواقع الاحداث، التي دمرها الصهاينة في فلسطين، ان يعيش تلك الفترة التاريخية الفلسطينية، ليؤكد في اشارة منه الى ان تدمير الآثار المرئية لمجتمع ما، او عدم امكانية هذا المجتمع واستطاعته الحفاظ على آثاره، فان هذا دليل واضح على مدى الكوارث التي ألمت بهذا المجتمع، وان الاهتمام الكبير الهام الذي يبديه الفلسطينيون في ظل الاحتلال "الاسرائيلي" بتاريخه الخاص، وقيام المبادرات المتعددة لحفظ هذا التراث واحيائه، هو علامة على تأكيد الذات الفلسطينية التي لا يمكن ان تقهر.

كان هناك ثلاثة اسباب رئيسية دعت الباحث الى اعداد هذه الدراسة، وهي تنحصر في :

اولا : وصول المواجهة بين الشرق والغرب في صراعه خلال القرن التاسع عشر، الى درجة، أجبرت فيها الدولة العثمانية على القيام باصلاحات، أدت الى تحولات جذرية في ولايات الدولة العثمانية، ومنها فلسطين.

ثانيا: الظروف المحلية التي حدثت في فلسطين في تلك الفترة، والتي تمثلت في تسارع التغلغل السياسي والديني والثقافي الاوروبي، بالاضافة الى الظروف والتطورات الدولية والاقليمية المحيطة بفلسطين، مثل حرب القرم، وفتح قناة السويس، والتدخل الفرنسي في لبنان عام ١٨٦٠، والتي أدت الى بروز معالم محددة في تاريخ فلسطين.

ثالثا: قلة الدراسات التي تحدثت عن هذه الفترة، وعدم دقة ما صدر منها.

* من خلال سرد مركز ومتميز، يتناول الباحث، الكيان التاريخي الفلسطيني من خلال قضيتين بارزتين هما:

١ - قضيبة حدود فلسطين. وهنا يرى الباحث ان هناك فلسطين واحدة، الا ان كثرة الاطماع الاجنبية والاهداف السياسية المتعددة، تركت حدود فلسطين، تصبح مجال أخذ ورد، وقد تشكل لدى السكان العرب المحليين صورة كيان فلسطيني، عززه الباحث بعدد من الخرائط والوثائق، وكان هذا الكيان، اساس دفاع السكان الفلسطينين عن كيانهم، ضد الطموحات اليهودية الصهيونية، التي رأت في فلسطين أرض "اسرائيل" من خلال رؤية التفسير التوراتي. على الرغم من انشطة صندوق اكتشاف فلسطين، واحتلال مصر في عهد محمد علي باشا لفلسطين، ونظرة الادارة العثمانية لادارة فلسطين.

٢ - قضية التطور السكاني. وهنا يعتمد الباحث على الاحصائيات العثمانية التي جرت عام ١٨٧١ - ١٨٧٢. حيث بلغ عدد سكان فلسطين في بداية الخمسينات من القرن التاسع عشر حوالي ٢٥٠ الف نسمة، فيما عدا البدو، ويؤكد الباحث ان اي تغير في عدد السكان، كان يتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والأوبئة المختلفة. ويرى ان سكان فلسطين في مطلع الثمانينات في القرن الماضي، قد وصل الى حوالي ٤٧٠ الف نسمة، عدا البدو الذين كانوا يقطنون جنوب فلسطين.

* ولما كان النزاع في الشرق الاوسط طوال فترات التاريخ، لم يكن ينشأ في الاقليم نفسه، وانما كان يأتي من الخارج، وذلك نتيجة للدور المحدد والمسند الى الاراضي المقدسة، والتي كانت تعلن في سياق التوسع الاوروبي في منطقة الشرق الاوسط. وهنا يوضح الباحث، انه بعد اندحار حملة محمد علي باشا على فلسطين وبلاد الشام، بدأ التغلغل الاوروبي في فلسطين يأخذ ابعادا ثقافية ودينية وسياسية، وقد أدت المطامع الاوروبية في فلسطين الى تنافس حاد، لم يمكن دولة اوروبية واحدة من الانفراد بالسيطرة عليها، وكان لهذا التنافس نشاط تغلغلي للمجموعات الاوروبية، وبخاصة بريطانيا وروسيا وفرنسا وبروسيا على المستويين الرسمي والشعبي. ثم يستعرض الباحث المشاريع الاستعمارية الاوروبية في فلسطين، ويركز على المستعمرات الالمانية، اضافة الى محاولات استيطان صهيونية، باءت جميعها بالفشل، على الرغم من الدعاية الهائلة التي انتشرت في اوروبا حول نشاط المستعمرين والمستوطنين في فلسطين.

* ومن خلال تحليل الباحث للأوضاع الاوروبية في فلسطين، يؤكد ان السيطرة الانجليزية الصهيونية على فلسطين، والتي تمت في نهاية الحرب العالمية الاولى، كانت نتيجة لشكل التجمعات الدولية التي أوجدتها هذه الحرب، وللاتحاد الجزئي في مصالح بريطانيا والحركة الصهيونية، والتي مهد لها الصهاينة من غير اليهود في القرن التاسع عشر. كما يؤكد ان الحركة الصهيونية كانت واحدة من تلك المجهودات التي سعت للسيطرة على فلسطين، وانها كانت اضعفها.

* ويتطرق الباحث الى التطورات الاقتصادية في فلسطين. حيث يوضح ان التنظيمات الاصلاحية العثمانية، التي كانت بناء على ضغط اوروبي، والتي شملت فلسطين، ساهمت في زيادة الانتاج المحلي، وان فلسطين ساهمت بفضل فائض انتاجها الزراعي في تموين المناطق المجاورة لها، وقد استطاعت بدورها، تحقيق

التوازن في الميزان التجاري لسورية بأسرها. وهنا يعتمد على تقارير عدد من القناصل الأوروبيين، التي تظهر ان المنتوجات الزراعية والحرفية في فلسطين، خلال تلك الفترة، قد ظلت على حالها، حيث كانت منتجات معروفة، ولم تكن هناك أساليب جديدة في عملية الانتاج. ويستنتج من هذه الحقيقة البالغة الأهمية، بطلان ادعاء رواد الاستيطان الاوروبي والصهيوني في فلسطين حول دورهم في اعادة هيكلية، او أية تغييرات جذرية في الشكل الانتاجي، من جراء تغلغلهم في فلسطين، ويؤكد ان الاهتمامات السياسية الاوروبية في فلسطين، كانت أقوى من اي اهتمامات أخرى. وان فلسطين معتمدة على نفسها، قد زادت من اندماجها في الاقتصاد العالمي.

* في بداية الستينات من القرن التاسع عشر، بدأت سلطة الدولة العثمانية تتوطد، وذلك بعد أن استطاعت تحجيم دور القوى المحلية التقليدية، التي كانت تتخذ من الريف الفلسطيني، والمناطق الجبلية مراكز لها. طرأ تحول حاسم على النواحي الاجتماعية والسياسية في فلسطين، فعلى الرغم من وجود عناصر اقطاعية في الهيكل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في فلسطين، الا ان تلك العناصر، لم تصل الى حد وجود نظام متطور، يسمح بالحديث عن أي لون من ألوان الاقطاع في فلسطين. وهذا ما أدى الى صعود نخبة من أهل المدن الفلسطينية، الذين حلوا محل الزعماء التقليدين الذين كانوا يتمركزون في مناطق عرابة وصانور وغيرها من انحاء الجبال الفلسطينية الشمالية والوسطى والجنوبية. واصبح هؤلاء الزعماء يقررون الاحداث المحلية، ويستأثرون وحدهم باهتمام المراقبين الاوروبيين، الذين كانوا يتسمون بالمواقف الازدواجية تجاه الزعماء المحليين في فلسطين. فهم من جهة كانوا يؤيدون الحكام العثمانيين، ويلحون عليهم لكي يعيدوا اقرار القانون والنظام، ولكنهم من جهة أخرى كانوا يتقربون اليهم، ويحمون ظهورهم، وخاصة عندما كان الامر يتعلق بتعزيز المصالح الاوروبية المباشرة، او مصالح الذين يتمتعون بالحماية الاوروبية. حتى وصل الامر في سبعينات القرن الماضي، الى ان حل رئيس بلدية القدس ونائبها في البرلمان العثماني، محل كل اهتمام اوروبي.

* لقد قاوم سكان فلسطين التجنيد الاجباري الذي فرضته الدولة العثمانية، ووقفوا ضد زيادة الضرائب المفروضة عليهم، الا ان ذلك الرفض للتجنيد، والتظلم من الضرائب الباهظة، لم يكن ليتناغم مع طموح القوى الاوروبية المتغلغلة في فلسطين، والتي كانت ترغب في السيطرة عليها. وقد جاء مناقضا لمجمل تصورات ممثلي اوروبية في فلسطين.

* يعرض الباحث الى تفصيلات هامة وكثيرة. تؤكد حقيقة الوجود الفلسطيني في اطاره التاريخي والجغرافي. من ذلك مثل. ردود الفعل الفلسطينية على الازمات الشرقية، فبعد هزيمة روسيا القيصرية في حرب القرم بمساعدة القوى الاوروبية للدولة العثمانية، بدأت الاحتفالات الرسمية في فلسطين، ورفعت الاعلام الفرنسية والبريطانية لأول مرة فيها، وصدر مرسوم الاصلاح العثماني عام ١٨٥٦. وقد لاقت هذه الاحتفالات استهجان سكان فلسطين كل ذلك، وقابلوها بالشك والريبة. وكانت وسائل مقاومة السكان لهذا، اضطرابات هائجة في نابلس وغزة، ضد القناصل الاوروبيين فيها. وأصبح الفلسطينيون ينظرون الى الاستقلال الوطني، على انه استقلال عن السيطرة التركية، التي وقفت في صف مجموعة الامم الاوروبية.

* ويشير الباحث الى ان ما جرى في فلسطين من توتر عام ١٨٥٦، لم يكن على الاطلاق معزولا عن المناطق العربية المجاورة، وهو الذي ساعد على قيام احداث عام ١٨٦٠، والتي تجسدت في مذبحة دمشق، وأحداث جبل لبنان. وفي هذا اشارة واضحة الى رفض السكان الوطنيين للسيطرة الاوروبية. ويؤكد الباحث في مجال آخر، ان التعاطف الذي ابداه الفلسطينيون مع حركة أحمد عرابي في مصر ضد الانجليز. جعلهم يظهرون موقفا عدائيا، عكس نفسه على علاقتهم مع الفرنسيين والانجليز، وكان وراء هذا التعاطف اعتبار الفلسطينيين (عرابي) مسلما يقاتل الكفار.

* وينتهي الباحث الى عدة ملاحظات هامة. نوجز ابرزها في النقاط التالية :

الاولى: ان الاعجاب بعرابي هو أعلى ما بلغه الوعي الفلسطيني في محاولة تاكيد الذات ضد أوروبة التوسعية الاستعمارية، والتي هاجمت الدولة العثمانية بقوة متزايدة منذ منتصف الستينات.

الثانية: خطأ الاوروبيين الذين اعتبروا الانزعاج الفلسطيني من الحكم العثماني، والترحم على الحكم المصري ما بين عام (١٨٣١ و ١٨٤٠) يمثلان أفكارا مجسدة لتوجه وشعور وطني لديهم، وانهم يرفضون السلطة العثمانية، ويرحبون او يرغبون في حكم او سيطرة عثمانية.

الثالثة: صدق التوجه الوطني الفلسطيني، الذي وضع عرب فلسطين أمام تحد مباشر، للاستيطان الصهيوني المكثف في فلسطين، والذي اخذ ينتشر ويتسع مع بداية الاستعمار البريطاني لفلسطين.

* وخلاصة القول، اننا أمام بحث عميق، تصدى بأجزائه الثلاثة، ومدخله، ونظرته الختامية، ومصادره التي اعتمدها. الى تلك التحولات الجذرية، التي جعلت من فلسطين، حدودا وكيانا، عاشه عرب فلسطين في تطورات اجتماعية واقتصادية سياسية، أهلتهم لمقاومة الغزو الاستعماري الصهيوني.. ولا يزالون. وهو من هذه الزاوية .. يضع جزءا هاما من تاريخ فلسطين الحديث، الذي يستحق التقدير ■

لقد كرست حركتنا وثورتنا مناسبة الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد الأخوة القادة ابو اياد، ابو الهول، والمناضل ابو محمد من اجل القدس وعروبتها تحت شعار القدس مفتاح السلام العادل والدائم والشامل الذي يكرس القدس الشريف بمقدساته وابعاده المكانية والزمانية والروحية عاصمة للدولة الفلسطينية المستقلة. فالقدس في المكان ملتقى العناق بين القارات الثلاث، آسيا وافريقيا واوروبا، وهي بذلك حلقة الوصل والتواصل والفعل والتفاعل بين مختلف الحضارات وهي بالنسبة لفلسطين صرة الوطن المقدس وملتقى اقطاره. وهي مركز الكوكب الذي نعيش على سطحه. والقدس في الزمان، ضاربة جذورها منذ الأزل تكاد تدرك الانسان منذ خلقه الأول. وتحمل جراحها قصص الحياة منذ انطلاقتها، وقد التقى الزمان فيها مع المكان ليجسدا التاريخ الاكثر قدما، والذي سبق نزول الرسالات السماوية. فالقدس بذلك تجسد ساحة الزمن السرمدي الأزلي التي تنطلق عقاربها بكبرياء نحو الأزل. والقدس في الروح ومضة حملت اسمها الكنعاني الاقدم تبركا باسم إله الكنعانيين "سالم" واسمها يوروشاليم يعني (مدينة سالم) وقد ارجع البعض اسمها الى حقيقة ان غابة الزيتون التي تحيط بها كانت مصدر الزيت الذي يتوهج بالاضاءة ليلا ويُسْتَطبّ به فتكون منه السلامة. مما جعل اسمها يعني " النور والسلامة" ويتجسد البعد الروحي انطلاقا من صفة التوحيد التي لها في جوهر الديانات السماوية الثلاث مكانة تجعل العبادة لرب واحد، ولهدف واحد مصدر تكامل. ان هذا التوحيد يقود الى فرض حالة التسامح الشامل بين المؤمنين جميعا وهو شرط أساسي من شروط كون القدس مفتاحا للسلام. وما تحاول امريكا اليوم ان تفرضه على الأمة العربية والاسلامية وعلى الشعب الفلسطيني بالقول انها تعارض ضم القدس وان القدس يجب ان تبقى موحدة ويجب ان يتحدد مصيرها النهائي في المفاوضات. ان هذه المقولة تفرض على المفاوضات النتائج التي يريدها الصهاينة. وهو ما ينسجم من طروحاتهم التلمودية. ان الموقف الفلسطيني والعربي والاسلامي المتمسك بعروبة القدس وبانها مهد الحضارات والديانات. مهد المسيح عليه السلام ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلب التمسك بهذه الثوابت قبل المفاوضات واثناءها وبعدها حتى يتحقق التحرير للمقدسات..

ان الطروحات التي تعبر عن التنازلات المجانية حتى ولو كانت اجتهادات فردية يرفضها اعداؤنا الصهاينة الآن لانهم يسيطرون على القدس بعدوانهم الغاشم فانها تشير بشكل مباشر الى الاستعداد عن التنازل عن مبدأ السيادة الفلسطينية على القدس الشريف. لقد طالعتنا المجلة الامريكية (FOREIGN AFFAIRS) بمقالة للسيد عدنان ابو عودة الذي يشغل الآن منصب مندوب الاردن الدائم للأمم المتحدة، يقترح فيها حلا لمشكلة القدس من المؤكد ان الصهاينة سيرفضونه، ولكنهم سيعتبرونه خطوة لصالحهم من الناحية التفاوضية التي يسلم فيها مسؤول أردني بالتنازل عن مبدأ السيادة العربية على القدس الشريف الذي يضم الاماكن المقدسة والكائنة داخل محيط السور.

لقد جاء في اقتراح السيد عدنان ابو عودة ما نصه: "من حسن الحظ، ولحل مشكلة القدس من الناحية الموضوعية ان للمدينة ثلاثة اسماء، القدس باللغة العربية، أورشليم بالعبرية، وجروزاليم كما هو معروف في العالم. وهذا يشكل المكون الاول لمشروع الحل الموضوعي . ان القدس المسورة هي القدس الحقيقية والمقدسة ويجب ان لا تتبع لأمة واحدة او لدين واحد. انها يجب ان تتبع لكل العالم وللديانات الثلاث الاسلام والمسيحية واليهودية. وبهذا لايكون لاي دولة اية سيادة سياسية عليها. وبهذا تبقى جروزاليم بقعة روحية كما انشات أصلا وكما هي معتبرة في العالم" ويضيف السيد ابو عودة: "ان المكون الأساسي الثاني هو اعتبار الاحياء الممتدة خارج اسوار المدينة شرقا وشمال شرق وجنوب شرق، القسم العربي من المدينة، ويطلق على هذه الاحياء اسم القدس، وهو الاسم المستخدم من العرب المسلمين. اما

المكون الثالث فيعتبر الاحياء المنتشرة خارج السور غربا وشمال غرب وجنوب غرب المدينة هي ما يطلق عليها اورشاليم، وهو الاسم المستخدم من اليهود".

ولسنا في مجال الاستطراد في ترجمة المقترح، فالمكون الاول يكفي للانذار الذي يقرع كل الاجراس للتنبيه الى ما يمكن ان يفرضه علينا النظام الدولي الجديد من تنازلات، أولها وأخطرها التخلي عن القيم الحضارية لامتنا العربية والاسلامية ولديننا الاسلامي الحنيف. فالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله يجعل من فلسطين كلها مقدسة، وليس السور الذي يتحدث عنه المشروع أحد المنزلات التي تفصل المقدس عن غيره. فمنذ العهدة العمرية.. وخلال العصر الاموي وبناء مسجد الصخرة والمسجد الاقصى وصولا الى سليمان القانوني الذي بنى السور الراهن، كلها من أعمال البشر ولكن على بقعة طاهرة مقدسة. لا يحددها سور، فقدسيتها تمتد الى بيت لحم حيث ولد السيد المسيح والى غزة هاشم والناصرة. ومن لا يعرف فلسطين المقدسة حري عليه ان لايخوض في تفاصيل الحديث عنها.

ان محاولة العصر الأمريكي فرض مقولاته وانتزاع التنازلات المطلوبة بالترغيب تاره وبالترهيب تارة اخرى، تجعلنا نقف بانتباه في وجه المخططات لكي نستعد للمواجهة القاسية. فالامبرياليون والصهاينة بخبثهم المعهود يتعلقون بمواقف (ابو موسى الأشعري) الذي يتنازل عن حق صاحبه كي يوافقوا على موقف ويؤكدوا حقهم الذي هو الباطل بعينه.

نحن لن نتخلى عن قدسنا الشريف، ونعاهد الاخ القائد ابو عمار على الاستمرار بالمسيرة معه حتى يصل الى القدس المحرره ويصلي مع كل من عاهدوه في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين باذنه تعالى.

ان الدروس التي يجب ان نتعلمها جيدا ونحن نراقب خطوات القفز السريع الذي تحاول امريكا فيه ان تفرض نظامها العالمي الجديد، نظام الغطرسة والصلف... نظام جهنم التي ليس لاطماعهما حدود. وشعارها " هل من مزيد". فالعراق الذي فرضوا عليه قرارات مجحفة باسم الشرعية الدولية عقابا على موقفه الرافض للعصر الصهيوني ان يكتسح الوطن العربي، قد عانى ولا يزال من الجشع الانتقامي الذي تعيشه نفسية النظام الامريكي العالمي الجديد. وها هي الجماهيرية الليبية تواجه مؤامرة تستهدف تركيع واذلال الشعب الليبي الصامد وقيادته المعادية للمخططات الامبريالية والصهيونية والداعمة لنضال شعبنا الفلسطيني وانتفاضته العملاقة... ان محاولة عقاب ليبيا وافتعال حكاية الطائرة التي سقطت قبل ثلاث سنوات، ما هي الا محاولة فتح ملف كل المناضلين الاحرار والثوار في العالم العربي والاسلامي وفي العالم اجمع. ولكن الامبرياليين و الصهاينة يدركون انهم أضعف من ان يفتحوا هذه الملفات النضالية مرة واحدة، فهم يستخدمون أسلوب الاستفراد وانتقاء المواقف التي يهيئون لها قرارا دوليا زائفا يدعم موقفهم اللاشرعي. ان عالمنا العربي بانظمته وشعوبه يواجه اليوم امتحانا عسيرا أصعب من امتحان المواجهة التي سبقت حرب الخليج. فهذه الانظمة العربية والجامعة العربية اما ان تسلم للعصر الصهيوني وانتهاك سيادتها وحريتها واما ان تتضامن لتمنع استمرار مسلسل الضغط الامريكي الجائر على ليبيا والذي لن ينتهي اذا لم يواجه بصلابة قبل ان يصل كل العواصم العربية ليعطي للمندوب السامي الصهيوني حق تشكيل حكوماتها.

ان القدرة الإلهية التي هيأت للأخ ابو عمار الخلاص والنجاة من عاصفة الصحراء في ليبيا والتي بذل الأخوة في ليبيا كل مجهوداتهم لتحقيق الارادة الربانية، انما تعطي مؤشرا صادقا مليئا بالأمل والتفاؤل بالمستقبل الذي تواجه فيه ثورتنا العواصف بعناد وايمان بحتمية النصر، والذي تواجه فيه ليبيا شرور العدوان الامريكي بصلابة الثوار وايمان المجاهدين.ولكي يتحقق الأمل .. وعهد القدس... فليس أمامنا سوى العمل ... والمزيد من العمل ... والعمل ... والعمل..

وانها لثورة حتى النصر



الصفحة الأخيرة

حمدا لله على السلامة

أي وشم لهذه الذاكرة المثقوبة على الشهادة، وفي احسن الاحوال على مقاربة الشهادة، وكأن بينهما اتفاق متصاعد حتى بلوغ النصر أو المضي لها..

يا الله.. كم كان، ولا يزال، مشوار فتح، ابدا على الطريق.. حيث المخاطر والاخطار جزء من طبيعة المشوار.. وحتى الموت يترصد الخطى يتخطف وردة من هنا ووردة من هناك، وكل واحد منهم.. وردة من دمنا...

هكذا كان ابو اياد.. ابو الهول.. ابو جهاد.. ومن كانوا من قبل ومن سيكونوا من بعد...

وذاكرة فتح المتحالفة مع الاخطار.. لم تتحسب لان يقارب "الموت" زعيمها، ولذلك دخلت في حالة من الاندهاش والاسئلة الحبيسة، والكثير من اللهفة، وهي تتابع رأسها الذي يحاول ان يقاوم العاصفة.. ولكن هذا النمط من الخطر، غير كل الانماط السابقة... انه الرمل.. "العاصفة" ... فأي اسرار في الاسماء.. وأي سر يسكن، رمل الصحاري المجنون .. وكان الدعاء .. يكن في كل القلوب والعيون.. وفتح على امتداد توغلها في حركة الناس، كانت تمتد دعاءا وكان القدر مرة اخرى يرسل تجربة ودرسا.. كيف تكون الاشياء في لحظة الخطر المطبق ؟ كيف تكون الاشياء بعض انقضاء الخطر المطبق؟

اسئلة ومخاطر ودعوات.. وفتح تحضر مع الناس تساؤلات . وافراح وصلوات.. يا رب أرفع هذه المحنة.. وكان الله رحيما...

ان الله رحيم..

وحمدا لله على السلامة

(٢)

كان خطرا من نوع آخر ؟

وكان الدعاء من نوع آخر؟ نجا "الربان" نجت القافلة ولابد من صلاة في الاقصى، حيث الحرية وطن.. وحيث الوطن حرية.

كان خطرا ؟ تجمعت فيه الصلاوات.. والنظره المتعمقة الى المسيرة، ما لها، وما عليها وما هي عليه، وما يجب ان تكون.. فالقافلة لابد ان تمضي، حتى تحط الرحال في البيت الثالث..

(٣)

وكانت وجوه الشهداء، والرجال من حول الرئيس القائد في رحلة الخطر... تنبيء بذلك التاريخ غير المحدود للفداء، للاثره،.. حيث يمد كل فرد روحه ليحمي القافلة والمسيرة.. وكان طاقم الطائرة بطريقته الفدائية للشهادة، يفتحون لنا، عينا على مشاهدة تلك الروح التي انبعثت في فتح، روح الايثار والجسارة في مغالبة الموت المحدق.. فليذهب الجسد ولتظل القافلة والربان..

(٤)

كانت ساعات للقلق والرهبة .. وماذا بعد التجربة؟ وكيف تحمي المسيرة وتستمر الاقدام في خطاها الى الوطن؟ كان ابو جهاد يطل على الجمع لتحمي المسيرة ايها الاخوة.

وليغفر نيسان هذا الطوفان وليحنوا هذا الرمل على القافلة ولتمضي القافلة الى اجمل البلاد.

وطائر الفينيق ينهض من رماده، متجاوزا الاسطورة، متعمقا ومتشبثا في الحياة. والاسطورة في عمرنا الفلسطيني تتناوب ذاكرة شعب يحاكيها في الانبعاث، والثبات على الحياة والنهوض. وابو عمار منحوت من الاسطورة ومن ذاكرة شعبه المرهون للانبعاث.

(٥)

وماذا بعد؟ انه السؤال الذي رفرف مع الوجع الثقيل، الذي سكن اللحظة المنكودة، ماذا بعد؟ وكيف يتواصل السير الى مداه؟

وكيف.. وكيف.. اسئلة أطلت على جناح القلق، وتغوص الى اعماق الافئدة؟ وتعود اليه، هو الذي دخل رماده، وعاد للانبعاث.. كان الناس في الوطن كعادتهم؟ اكبر واعظم من جعجعة الغزاة وشماتتهم، كان الناس في أمالهم يهرعون الى الذات دعاءا.. وعندما زال الخوف امتلأت كل القلوب فرحا.. وعمت الرقصات دروب كل القرى والمدن، المنتظرة وصول القافلة للصلاة معا في الاقصى..

ومعا على الطريق. وحمدا لله على السلامة.

الاتصالات والمراسلات

البريد الخاص. 1080 - ص . ب. 18 تونس - الجمهورية التونسية - فاكسميل : 767599